الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

معارك القرن السادس عشر الكبرى

معركة ليبانت – معركة وادي المخازن (1571م – 1578م)

– دراسة مقارنة –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين:

* خنيفر يحي
* السبع يوسف

تحت إشراف الدكتور:

أ.د جلول بن قومار

مقدمة أمام لجنة المناقشة المكونة من:

اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د / محمد السعيد بوبكر	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د / جلول بن قومار	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د / جمال الدين سهيل	جامعة غرداية	مشرف مساعد
د / محمد محدادي	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1444هـ/2022 – 2023م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

معارك القرن السادس عشر الكبرى

موكة ليبانت – موكة وادي المخازن (1571م – 1578م)

– دراسة مقارنة –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين:

* خنيفر يحي
* السبع يوسف

تحت إشراف الدكتور:

أ.د جلول بن قومار

مقدمة أمام لجنة المناقشة المكونة من:

اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د / محمد السعيد بوبكر	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د / جلول بن قومار	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د / جمال الدين سهيل	جامعة غرداية	مشرف مساعد
د / محمد محدادي	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1444هـ/2022 – 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه , أثني عليه بأكمل ثناء وأمجده بأجّل التمجيد , وصلى الله وسلم على دواء القلوب وشفائها محمد خير خلق الله وخاتم الأنبياء والمرسلين.

أهدي ثمرة جهدي إلى روح جدي الطاهرة رحمه الله .

إلى جدتي الحبيبة أطال الله في عمرها .

إلى من ربياني صغيرا الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما .

إلى أخي الحاج قويدر وأخواتي العزيزات .

وإلى كل من وسعهم قلبي ولم يكتبهم قلمي .

يحي

الإهداء

أهدي خالص عملي و جهدي

إلى الوالدين العزيزين حفظهما الله .

إلى زوجتي العزيزة وأولادي طلحة الجود ، زينب ، إخلاص .

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء .

إلى روح جدي الطاهرة .

إلى كل الأصدقاء في الحي وزملاء العمل .

إلى كل من يجاهد بعلمه وقلمه في سبيل إعلاء راية الدين والوطن .

يوسف

شكر و عرفان

شكرنا أولا لله عز وجل الذي أسبغ علينا نعمته ,واكرمنا بإتمام هذا العمل مع رجائنا ان يتقبله خالصا لوجه الكريم ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

نتوجه بخالص شكرنا وعمق امتناننا إلى كل من قدم لنا يد العون من أجل إتمام هذا العمل

ونخص بالذكر :

الأستاذ المشرف الدكتور بن قومار جلول الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و إرشاداته القيمة متمنينا له دوام الصحة و العافية والمزيد من الانجازات العلمية.

نتقدم بالشكر لجميع أساتذتنا الذين بذلوا جهودهم من اجلنا فنسأل الله عز وجل ان يبارك أعمالهم ويطيل في عمرهم .

نتقد بالشكر أيضا إلى مسؤول المكتبة بكلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة غرادية ولجميع العاملين بها .

و الشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على ما سيبذلونه من وقت وجهد في قراءة هذه المذكرة وتقويمها.

ولا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بالشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

1) باللغة العربية:

المعنى	الرمز
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعليق / تعريب	تع
تقديم	تق
الجزء	ج
دون تاريخ	د . ت
دون مكان	د . م
الصفحة	ص
الطبعة	ط
العدد	ع
الميلادي	م
المجلد	مج
الهجري	هـ

2) باللغة الأجنبية:

Opere citato	Op.cit
Page	P
Tome	T
Volume	V

مقدمة

1- التعريف بالدراسة :

عرف النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حروبا ومعارك ضارية، في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وبلاد المغرب و بالتحديد المغرب .

اذ وقعت معارك كبرى بين القوة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية و القوى المسيحية ممثلة في دول التحالف الاوربي في معركة ليبانت سنة 979 هـ / 1571 م ، و الدولة السعدية في المغرب والمملكة البرتغالية في معركة وادي المخازن أو القصر الكبير سنة 986 هـ / 1578 .

حيث تعتبر المعركتين امتدادا للحروب الصليبية على العالم الإسلامي التي تجددت خلال الفترة الحديثة ، بالإضافة إلى أن نتائجهما أثرتا في تغيير موازين ومسار العلاقات الدولية و القوى العالمية.

إذ تعتمد دراستنا على عقد دراسة مقارنة بين المعركتين ، وتحديد أوجه التشابه و الإختلاف بينهما.

حيث جاء موضوع دراستنا موسوما : **" معارك القرن السادس عشر الكبرى معركة ليبانت – معركة وادي المخازن (1571–1578م) –دراسة مقارنة – " .**

2- أسباب إختيار موضوع الدراسة :

تعود اسباب اختيار موضوع دراستنا إلى الأسباب التالية :

- **الأسباب الشخصية :**

* الميول للمجال العسكري في الدراسات التاريخية .

* الاهتمام بأحداث القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي نظرا لاعتباره قرن الصراع العثماني الاسباني بشكل خاص والأوروبي بشكل عام في حوض البحر الأبيض المتوسط .

* الإعجاب و الإهتمام الكبير بجهود الدولة العثمانية و الدولة السعدية التي بقيت خارج ممتلكاتها، و الإهتمام بتاريخ الدولتين بشكل خاص .

* تشجيع الأستاذ المشرف على تناول موضوع الدراسة و التعرف على أبرز المعارك الكبرى التي ميّزت القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

- **الأسباب الموضوعية :**

* اختيار معركة واد المخازن 1578م كطرف في المقارنة ، نظرا لأن الأستاذ المشرف سبق له انجاز رسالة ماجستير في الموضوع وتخصصه في تاريخ المغرب الحديث .

* التعرف أكثر على خلفيات المعركتين.

* التجديد في قراءة مجريات المعركتين بعقد دراسة مقارنة للتعرف على أوجه التشابه و الإختلاف بينهما ، وأبرز نتائجها على العالم الإسلامي و المسيحي .

* المساهمة بشكل بسيط في دراسة الموضوع و تقديم إضافة في تدوين تاريخ المغرب العربي الحديث

* الإهتمام بدراسة التاريخ العسكري ، وبالتحديد المعارك بين القوى الإسلامية والمسيحية في حوض البحر الأبيض المتوسط و الساحل المغاربي .

3 – أهداف وأهمية الدراسة :

* تقديم إضافة في تدوين التاريخ العسكري وقراءة جديدة في حيثيات المعارك الكبرى خلال الفترة الحديثة في حوض البحر الابيض المتوسط و بلاد المغرب .

* عقد مقارنة بين المعركتين و استخراج العلاقة بينهما و التي تتمثل في تغيير الخارطة السياسية للعلاقات الدولية و انقلاب موازين القوى والصراعات حول مناطق النفوذ في حوض البحر الأبيض المتوسط والساحل المغاربي .

* التأكيد على أن طبيعية وخلفيات المعارك التاريخية بين القوى الإسلامية والمسيحية كانت بنزعة دينية .

4 – إشكالية الدراسة :

تتمثل إشكالية موضوع الدراسة في الإشكالية الرئيسية التالية :

– **ما تأثيرات معركة ليبانت ومعركة وادي المخازن في تأجيج الصراع الإسلامي المسيحي حول مناطق النفوذ والقوة العسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة المغرب ؟ .**

و تتفرع إلى تساؤلات ثانوية هي كالتالي :

– **كيف أثرت معركة ليبانت ومعركة وادي المخازن في مسار العلاقات الدولية وموازين القوى ؟ .**

– **ما أسباب و مجريات ونتائج معركة ليبانت ومعركة وادي المخازن ؟**

– **فيما تتمثل أوجه التشابه والاختلاف بين معركة ليبانت ومعركة وادي المخازن ؟**

5- خطة الدراسة :

احتوت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تناولت أبرز الاستنتاجات والنتائج المتوصل إليها من الموضوع .

- **مقدمة** : تناولنا فيها التعريف بالموضوع من جوانبه الزمانية و المكانية والمجال ، ثم قسمنا الدراسة إلى :

- الفصل الأول : جاء تحت عنوان " **معركة ليبانت 979 هـ / 1571م – الأسباب – المجريات – النتائج** " ، تناولنا فيه أبرز أسباب المعركة و مجرياتها و نتائجها على الدولة العثمانية و دول التحالف الأوروبي .

- الفصل الثاني : كان موسوما ب " **معركة وادي المخازن 986هـ / 1578 م – الأسباب – المجريات – النتائج** " ، تطرقنا فيه إلى خلفيات المعركة وأسبابها ، و استعداداتها و اهم أحداثها و مخلفاتها و نتائجها على كل الأطراف .

- الفصل الثالث : عنونّ ب " **أوجه التشابه و الإختلاف بين المعركتين** " ، حيث تم عقد مقارنة بين المعركتين واستخراج نقاط التي تشتركان فيها ، ونقاط الإختلاف بينهما ، وأبرز نتائجهما وآثارهما على العالم الإسلامي و المسيحي ، بالإضافة إلى إنعكاساتهما على طبيعة ومسار العلاقات و موازين القوى العالمية .

أما الخاتمة : فتضمنت أبرز النتائج التي توصلنا إليها بعد البحث والتحليل .

6- منهج الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي ، و المنهج المقارن ، حيث رأينا أن طبيعة الدراسة و خصوصياتها تفرض علينا إستخدام هاذين المنهجين وهما :

* **المنهج التاريخي**: استخدمناه في تتبع مجريات المعركتين و وصف الأحداث وفق التسلسل الزمني للوقائع ،ثم تحليل أطوار المعركتين و خلفياتها لإستنتاج نقاط التشابه والاختلاف بين المعركتين .

* **المنهج المقارن** : استخدم لدراسة المقارنة بين المعركتين ويقتضي ذلك و استخراج مكامن التشابه وأوجه الاختلاف و إستنتاج العلاقة التي تربط بينهما .

7- الدراسات السابقة :

إن دراسة أحداث الفترة الحديثة كان لها أثرا على العلاقات الدولية كمعركتي ليبانت 1571م - وادي المخازن 1578م قد نالت اهتمام الباحثين والمؤرخين ، التي إستفدنا منها في موضوع دراستنا نذكر منها :

- سعدية سعيد علي البيشي : " **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو 1571م**" رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، تناولت الدراسة الجهاد البحري العثماني ضد المخططات الصليبية وركزت على موقعة ليبانت 1571م أسبابها ومجرياتها ونتائجها ، إذ استفدنا منها في إستعدادات الطرفين و النتائج المترتبة عن المعركة ، وآثارها على العلاقات و موازين القوى العالمية .

- عبير بن نذير ، خديجة قباني : " **معركة ليبانت 1571م وأثرها على الأوضاع في الجزائر**"، مذكرة ماستر تناولت أسباب ومجريات ونتائج المعركة ، و أوضاع الجزائر الخارجية بعد معركة ليبانت 1571م ، وقد استخدمناها في عرض أسباب و مجريات المعركة ، بالإضافة إلى عقد المقارنة، إذ أنها لم تتعرض إلى تحليل المجريات والتفصيل في أحداثها بما يتناسب مع أهمية المعركة .

- عبد الحق بوديسة : " **معركة ليبانت 1571م و أثرها على العلاقات في العالم المتوسطي خلال القرن 16م** " ، مذكرة ماستر تناولت علاقات الدولة العثمانية بالعالم المتوسطي و الصدام العثماني الأوروبي بين استراتيجية الجهاد والهيمنة ، وخصصت الفصل الثالث لمجريات معركة ليبانت 1571م و إنعكاساتها بين الشرق و الغرب ، إذ افادتنا في مجريات و اطوار المعركة ، بالإضافة إلى إنعكاساتها على العلاقات الدولية .

- بن قومار جلول : "**معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال – إسبانيا – فرنسا (986 هـ – 1578م / 1012 هـ – 1603م)**" ، مذكرة ماجستير تطرقت إلى الأوضاع في المغرب وعلاقاتها قبل معركة وادي المخازن 1578م ، أسبابها ومجرياتها ونتائجها ، بالإضافة إلى أثرها في العلاقات مع دول غرب أوروبا ، إستفدنا منها في تناول أسباب و نتائج المعركة وأثرها في العلاقات الدولية في المنطقة .

- سمير عبد الرسول العبيدي : " **واقعة وادي المخازن 1578م** " مقال تناول بداية الصراع السعدي – البرتغالي و العمليات العسكرية البرتغالية على الساحل المغربي و أحداث و مجريات معركة وادي المخازن و نتائجها ، قدم لنا إضافة في التفصيل في مجريات المعركة ونتائجها .

8- نقد المصادر والمراجع الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على توظيف أبرز المصادر و المراجع أهمها :

1- المصادر :

المصادر العربية :

- بجوى إبراهيم أفندي : **التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني** ، يعد من أهم المصادر العثمانية التركية التي تناولت ابرز أحداث الدولة العثمانية ، قد تطرق إلى معركة ليبانت 1571م وعرض أسبابها ومجرياتها ونتائجها ، حيث أفادنا في تتبع مجريات المعركة و نتائجها ، لكن ما يؤخذ عليه أن الكتاب ليس مطابق لمحتواه ، إضافة إلى عدم التفصيل أكثر في خبايا وخلفيات و مجريات احداث المعركة .

- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني : **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،** إحدى أبرز المراجع الهامة ذات قيمة معلوماتية تاريخية التي دونّت تاريخ المغرب خلال العهد السعدي ، وتطرق لمعركة وادي المخازن 1578م أورد فيها معلومات حول أسبابها و أطوارها بشكل مفصّل و أبرز نتائجها ، بحيث أفادنا كثيرا في توضيح اسباب موقعة وادي المخازن 1578م و أحداثها و استعدادات اطرافها و إعطاء مخلفاتها .

- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، يعتبر من بين أهم المصادر القيّمة في تاريخ المغرب الحديث ، حيث يعتبر مؤرخ القصر السعدي الذي عاصر معركة وادي المخازن 1578م ، تطرق إلى معظم الأحداث التاريخية خلال حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي ، من بينهما أحداث واقعة القصر الكبير ، حيث أفادنا في جميع أطوار الدراسة .

لكن ما يؤخذ عليه أن كتاباته جانبت الموضوعية قليلا ، إذ ركز على محاسن أحمد المنصور السعدي و أغفل سلبياته وأخطائه خاصة بغزوه لبلاد السودان .

- المجهول : **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية** ، كذلك يعد من أهم المصادر تاريخ المغرب و تاريخ الدولة السعدية ، إن من المرجح انه من بقايا الوطاسيين إذ تطرق إلى مجريات المعركة و اعمال أحمد المنصور بكل دقة وموضوعية تاريخية ، بالإضافة إلى إعطاء معلومات جديدة لم تتطرق إليها المصادر المغربية ، فقد أفادنا في كافة أطوار معركة وادي المخازن 1578م .

المصادر الأجنبية :

- Haedo. F Diogo de : **Histoire des rois d'Alger ,**

يعتبر من أكثر المصادر استخداما في الفترة الحديثة ، خاصة خلال القرن 16 م ، إذ تناول معظم الأحداث في تاريخ الجزائر الحديث والفترات الحكم في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني ، تكلم حول معركة ليبانت الشهيرة سنة 1571م ، قدم لنا إضافة في الموضوع بالتحديد في مجريات المعركة بالتحديد في عنصر نداء السلطان العثماني للإيالات المغاربية .

- **henry DE CASTRIE : Les sources Inédites de Maroc Dynastie saadienne , 1ère série**

يعد مجلدات هنري دوكاستري من اهم المصادر في تاريخ المغرب لما يحتويه من وثائق من الارشيفات الاوروبية ، وظفته في عنصر الإستعدادات البرتغالية لمعركة وادي المخازن 1578م تحديدا في عملية النقد التاريخي للمصادر البرتغالية ، التي تسعى للتقليل من الأعداد الحقيقية للجيش البرتغالي المشارك في المعركة للتحجج بخسارتها التاريخية المذلة .

2- المراجع :

- **المراجع العربية :**

- جون -ب - وولف : **الجزائر و أوروبا 1500-1830** ، يعتبر من بين أشهر المراجع التاريخية الخاصة بتاريخ الجزائر الحديث ، فقد تناول معظم الأحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر خاصة علاقاتها مع دول المتوسط خلال الفترة الحديثة ، إذ استفدنا منه في أسباب معركة ليبانت 1571م بالتحديد الفتح العثماني لجزيرة قبرص سنة 1570 ، وكذا طريقة تحليل وتناول أحداث الموضوع خاصة من ناحية الصياغ التاريخي و الفتح العثماني لجزيرة قبرص سنة 1570 ، وكذا طريقة تحليل وتناول أحداث الموضوع خاصة من ناحية الصياغ التاريخي و إنعكاسات المعركة على الدولة العثمانية وإيالاتها المغاربية خاصة إيالة الجزائر.

- يلماز أوزتونا : **تاريخ الدولة العثمانية** ، تناول الكتاب تاريخ الدولة العثمانية عبر فترات القوة و الضعف ، و مختلف الأحداث التاريخية التي مرت بها ، إذا افادنا كثيرا في جميع مراحل الدراسة خاصة معركة ليبانت 1571م و آثارها على القوى الإسلامية والدولة العثمانية .

- خليل اينالجيك : **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ، يعد أبرز الكتب و المراجع التي كتبت حول تاريخ الدولة العثمانية من نشأتها إلى غاية سقوطها ، حيث استفدنا منه في

أسباب و مجريات و نتائج معركة ليبانت 1571م ، بالإضافة إلى أنه قدم لنا تحليلا لإنعكاسات المعركة على الدولة العثمانية و علاقاتها الدولية .

– ابراهيم حليم بك : **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية** ، يعتبر الكتاب من ضمن أبرز المراجع القيّمة في تاريخ الدولة العثمانية التي تناولت تاريخ الدولة العثمانية و أبرز معاركها ، فقد قدّم لنا معلومات مهمّة في أطوار معركة ليبانت 1571م بداية من أسبابها ، مرورا بمجرياتها ووصولا إلى نتائجها ، إذ من خلال قرائتنا لمحتوى الكتاب بين لنا أنه لم يفصّل كثيرا في أطوار المعركة ، فقد إكتفى بتناول أبرز الأحداث دون إعطاء تحليل لها ، و توظيفه في الفصل الثالث.

– محمد فريك بك المحامي : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، من أبرز المراجع التي إهتمت بتاريخ الدولة الإسلامية بداية من دولة الخلافة الراشدة حتى بدولة المماليك ، و تاريخ الدولة العثمانية بشكل تفصيلي منذ نشأتها إلى غاية نهايتها تحت حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، أفادنا الكتاب في جميع مراحل دراسة معركة ليبانت 1571م والتطرق لأسبابها و مجرياتها و نتائجها .

– روبير شوسّوا : **المعارك البحرية الكبرى في تاريخ** ،يعتبر من بين أهم المراجع المعربة التي تحدث حول اكبر المعارك البحرية الكبرى في التاريخ ، وقد خصص جزءا من كتابه للحديث عن معركة ليبانت 1571م و إعطاء تفاصيل هامة لأسبابها و أحداثها و أبرز نتائجها ، إذ أنه كان موضوعيا في تناول بعض الأحداث التاريخية .

– أحمد سالم : **استراتيجية الفتح العثماني** ، من أهم المراجع التي تناولت الفتوحات العثمانية في أوروبا و منطقة المغرب العربي ، افادنا بشكل كامل في أطوار دراسة معركة ليبانت 1571م ، و بالتحديد في الفصل الثالث خاصة إنعكاسات المعركة على العلاقات الدولية وتغيير خارطة التفوق في البحر الأبيض المتوسط .

– شوقي أبو خليل : **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير –** ، يعتبر من أهم المراجع التي ركزت على معركة القصر الكبير 1578م ، إذ أفادنا في إعطاء صورة حول أسباب واقعة وادي المخازن و نتائجها على الجيش المغربي و البرتغالي .

– عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السّعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية** ، ركز على تاريخ المغرب خلال حكم الدولة السعدية ، حيث أعطى

دراسة تحليلية لمختلف التحولات في المجال السياسي و الحضاري التي عرفها المغرب السعدي ، فقد قدم لنا الكتاب كثيرا في تناول أسباب و خلفيات معركة وادي المخازن 1578م يشكل تفصيلي ، واستخراج اوجه التشابه و الإختلاف بين المعركتين المدروستين .

– عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي** ، أعتبر من ضمن المؤلفات التي إهتمت بتاريخ المغرب خاصة خلال الفترة الحديثة ، إذ خصص جزءا منه لتناول أبرز معركة في تاريخ المغرب وتعلق الامر بمعركة وادي المخازن او القصر الكبير سنة 1578م ، حيث قدم لنا إضافة كبيرة بالتحديد في نتائج الواقعة و إبراز مخلفاتها على طرفي المعركة ، وكذا إنعكاساتها على العلاقات الدولية و التغيير في موازين القوى العسكرية العالمية في المنطقة ، بالإضافة إلى استخدامه في الفصل الثالث .

– **المراجع الأجنبية :**

– Henri Delmas De Grammont : **Histoire d'Alger sous la Domination Turque 1515-1830,**

من بين ابرز المراجع المستخدمة في الدراسات التاريخية خلال الفترة الحديثة التي تناولت بشكل مفصّل تاريخ الجزائر خلال الحكم التركي 1515– 1830 ، فقد اورد احداثا متعلقة بالقرن 16م و كتب حول معركة ليبانت 1571م ، افادنا في مجريات المعركة بالتحديد في عنصر نداء السلطان العثماني للإيالات المغاربية .

9– صعوبات الدراسة :

لا تكاد تخلو الدراسات العلمية والتاريخية في العادة من العراقيل و الصعوبات ، حيث اعترضتنا بعضها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلي :

– قد تكون وفرت المصادر والمراجع من الصعوبات التي تعترض الدراسة خاصة الإلمام بها ، واستخراج المادة الخبرية منها .

– كثرة الدراسات السابقة التي تعرضت للدراسة ، مما دفعنا لتغيير زاوية تناول الموضوع ، والاعتماد على التحليل والنقد في معظم محاور الدراسة تجنبا لتكرار المكرر .

– صعوبة الحصول على بعض المصادر الأجنبية التي تناولت الدراسة ، نظرا لاستحالة الحصول عليها بالصيغة الإلكترونية .

– كثرة الأحداث والوقائع وتداخلها مما احدث لنا صعوبة في تتبع وقائعها .

في الأخير نقول إن دراستنا هذه من عمل البشر ، وكل عمل بشري يعتريه النقص و الضعف فالكمال لله وحده ، فإن أصبنا فهو توفيق من الله وحده ، وإن أخطأنا فحسبنا أننا إجتهدنا وحاولنا .

الفصل الأول

معركة ليبانت 979هـ / 1571م

الأسباب – المجريات – النتائج

المبحث الأول: أسباب المعركة

المبحث الثاني: مجريات المعركة

المبحث الثالث: نتائج المعركة

تمهيد :

شكلت منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر الهجري / القرن السادس عشر الميلادي ساحة حرب جمعت القوى العظمى في صراع ديني جدد الحروب الصليبية في المنطقة .

فقد اشتدت المعارك بين القوى الراهنة في تلك الفترة والممثلة في الدولة العثمانية الراغبة في التوسع ونصرة الإسلام والمسلمين وإسبانيا ودول أوروبا المسيحية ، وقد كانت أبرز معاركها موقعة ليبانت سنة 979هـ/ 1571م التي تمثل أعظم المعارك والعسكرية التي عرفها القرن 16م وحوض المتوسط في تلك الفترة ، فأحداثها جاءت نتيجة فتح قبرص على يد العثمانيين وإعلان بداية الخطر المحدق بالقوى الأوروبية المسيحية في شرق أوروبا .

لقد مثلت هذه الصدامات محورا مهما في الصراع بين الدولة العثمانية ودول أوروبا المتحالفة الذين حققوا انتصارا كبيرا في هذه المعركة ، والتي تعتبر عند معظم المؤرخين بداية العد التنازلي للقوة العثمانية ، فضلا عن اهتمام دول أوروبا المسيحية في تعزيز هذا النصر بضرب ما تبقى من القوة البحرية العثمانية في المناطق الأخرى و استعادة مناطقها المقدسة .

فبعد هزيمة الدولة العثمانية عمدت إلى بناء أسطولها البحري وتقويته وإشراف قائد الأسطول الجزائري القلج علي باشا ، الذي كلّف بمهام بناءه وإعادة رد الاعتبار من خلال تحرير تونس سنة 982 هـ / 1574م من قبضة القوى الإسبانية والقضاء على كل آمالها في السيطرة على المناطق المغاربية خاصة كونها كانت ترغب في تعزيز انتصارها بإعادة الاستيلاء على تونس 1573م .

لقد شكل الانتصار لدى القوى الأوروبية المسيحية بكسر حاجز الخوف من البحرية العثمانية، حيث أصبح البابا مصدر التحالف بين دول أوروبا من شرقها إلى غربها والتي أعادت في نظرنا إلى زمن الحروب الصليبية .

من هنا نطرح الإشكالية الآتية :

فما أسباب معركة ليبانت 1571م ؟ وما تفاصيل الاستعدادات أطرافها وأهم نتائجها ؟ وما انعكاسات معركة ليبانت على العثمانيين والقوى الأوروبية و منطقة البحر الأبيض المتوسط عامة ؟ .

المبحث الأول :

الأسباب

أولا : الحصار العثماني لجزيرة مالطا 973هـ/1565م

يعتبر حصار مالطا [1] من بين أهم الحملات العثمانية خلال القرن السادس عشر ، نظرا لأهمية موقعها الاستراتيجي المميز الواقع بين تونس وجنوب ايطاليا ، كما أنها شكلت أحدى أهم القواعد المسيحية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [2] ، الأمر الذي جعل السلطان العثماني سليمان القانوني [3] يستهدفها لتعزيز سيطرته على البحر المتوسط وتحويله إلى بحيرة عثمانية [4] .

فقد أصبحت مالطا باعتبارها قاعدة مسيحية تتحكم في الطرق والمسارات البحرية بين إيطاليا وإسبانيا وقطع التواصل والمساعدات والإمدادات بين الأسطول العثماني والإيالات المغاربية[5]، كما أن جزيرة مالطا أصبحت مقرا لفرسان القديس يوحنا [6] .

---

1 **مالطا** : جزيرة صغيرة في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من ساحل إيطاليا وأفريقيا ، فتحها المسلمون مدة من السنين ، استولى عليها شارلكان وتنازل عنها لرهبة رودس إلى غاية 1898م ، وقد احتلها بونابرت في حملته على مصر ، وفي سنة 1800إحتلها الإنجليز ، ينظر : محمد فريك : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة – مصر، 2012 ، ص 114.

2 عبير بن نذير ، خديجة قباني : **معركة ليبانت 979هـ/1571م وأثرها على الأوضاع في الجزائر** ، مذكرة ماستر ، تخصص المغرب العربي الحديث ، إشراف الشيخ لكحل ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2019-2020، ص 12.

3 **سليمان القانوني (1520–1566م)** : سلطان عثماني إبن السلطان سليم الأول ، في عهده بلغت الإمبراطورية العثمانية أوجها وعرفت نهضة مرموقة في حقول التشريع والأدب وفن العمارة ، فتح بلغراد سنة 1521م ورودس عام 1522، هزم القوات المجرية (الهنغارية) في معركة موهاج سنة 1526م ،حاصر فيينا سنة 1529م ، ويعرف ب "سليمان القانوني " أو بسليمان الكبير" ، ينظر : منير البعلبكي : **معجم أعلام المورد** ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1992، ص 242.

4 سعدية سعيد علي البيشي : **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** ، مذكرة ماجستير ، تخصص التاريخ الإسلامي الحديث ، إشراف عبد الجواد صابر اسماعيل ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1997، ص 81.

5 عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق .

6 **فرسان القديس يوحنا** : تعرف كذلك باسم " فرسان مالطا " ، نشأت منظمة فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس منذ مطلع الحروب الصليبية ، وكانت في بادئ الأمر منظمة خيرية لمساعدة الفقراء و المحتاجين ، ومع مرور الزمن بدأت تتحول إلى منظمة عسكرية محظى وتعهدت بالدفاع عن بيت المقدس ، طردها صلاح الدين الأيوبي سنة 1187م ، فاضطرت لنقل مركزها إلى عكا وهناك بدأت تضرب المسلمين ، إلى تم طردها منها ، حيث استقرت بجزيرة رودس سنة 1306م إلى أن طردهم سليمان القانوني سنة 1522م ، فاستقرت بطرابلس الغرب بعدما قدمها لهم شارل الخامس كهدية لهم إلى غاية 1551م ، ينظر : محمود علي عامر ، محمد خير فارس : **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، منشورات جامعة دمشق ،سوريا 2000 ص ص 153،154.

التي منحها لهم شارل الخامس [1] سنة1529 م ، حيث وقفوا حاجزا أمام التوسعات العثمانية في البحر و الغارات على السفن الإسلامية والعثمانية في البحر المتوسط [2] وقطع طرق الحجاج القاصدين مكة بالإضافة إلى المشاركة في الحملات الصليبية ضد الأقطار المغاربية الإسلامية وإغارة ونهب السفن الإسلامية في البحر المتوسط [3] .

فبادر السلطان سليمان القانوني استعداداته لحصار مالطا حيث أرسل برسائل سرية إلى حسن باشا[4]، و كذا درغوث باشا[5] .

1 **شارل الخامس (1500–1558م)** : ملك إسبانيا (1516–1556م) ، رأس الأمبراطورية الرومانية المقدسة 1519–1556م ، يعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ إسبانيا كله ؛ هزم القوات الفرنسية وأسر الملك فرنسوا الأول في معركة بافيا سنة 1525م ، أعلن الحرب على البروتستانتية ثم عقد معها صلح أوغسبورغ سنة 1555م .
في عهده اتسعت رقعة الامبراطورية في أوروبا وفتحت إسبانيا أجزاء واسعة من المكسيك وبيرو ، تخلى عن العرش سنة 1556م وأعتزل في أحد الأديرة الإسبانية ، ينظر : منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص 255.

2 سامية مبروك : **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م – معركة ليبانت 1571**– انموذجا ، مذكرة ماستر ، تاريخ الجزائر الحديث ، إشراف عاشور قويدر ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، الجزائر ، 2018–2019 ، ص 62.

3 درويش الشافعي : "**دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)**" ، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية ، مج 5 ، ع 2 ، ديسمبر 2020، جامعة زيان عاشور – الجلفة – ، الجزائر ، ص 11.

4 **حسن باشا** :هو ابن خير الدين من امرأة جزائرية وهذا يعني أنه كرغلي ، وهذا استثناءا لم يتكرر في تاريخ الجزائر العثمانية ذاتها لم يصدف أن تقلد كرغلي مناصب كبيرة لاسيما منصب حاكم عام ، لكن سمعة خير الدين في تركية والجزائر معا غطت على كل شيء ، حيث عين في بادئ الأمر كنائب لوالده في الجزائر 1544م ، ثم رقي إلى منصب بكلربك بعد وفاة سنة 1546م ، وكلف بين عامي 1546–1547م ثلاث مرات في هذا المنصب ، حيث ركز على تحصين مدينة الجزائر ما بين عامي 1544–1551م ، ينظر : محمد خير فارس : **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** ، ط1 ،كلية الآداب–جامعة دمشق ، دمشق – سوريا ، 1969، ص ص 38،39.

5 **درغوث باشا** : قائد بحري تركي أصله من حصن صغير بآسيا يقع قبالة جزيرة رودس في الاقليم المعرف لدى الأتراك ب مانطيشا ، اعتاد على ركوب البحر ودخل في خدمة خير الدين بربروس حتى أصبح من أكبر رياس السفن ، عينه خير الدين رئيسا للبحارة ، فتح العديد من المدن في السواحل الايطالية ، قبض عليه واسره اندري دوريا اربعة أعوام ، حيث افتداه خير الدين ، دخل خليج نابولي وأخذ مدينة كاستيلماري ، شارك في فتح طرابلس الغرب سنة 1551م ، ودخل في خدمة السلطان العثماني سنة 1555م ، توفي سنة 1565م أثناء حصار جزيرة مالطا ، ينظر : مارمول كربخال : **إفريقيا** ، ج3، تر : محمد حجي ، مكتبة المعارف ، الرباط – المغرب ، 1984، ص ص 71–73.

بالإضافة إلى الريس علج [1]علي باشا [2]يأمرهم فيها بالاستعداد للمشاركة في الحملة لفتح مالطا [3] موضحا لهم أهمية الحملة والامكانيات والاستعدادات الحربية والمادية التي جهزها للتخلص من سيطرة فرسان القديس يوحنا على جزيرة مالطة [4] .

وقد طلب درغوث باشا من الديوان مرات عديدة لفتح جزيرة مالطا وطرد فرسان القديس يوحنا الذين قتلوا الكثير من المسلمين من جزيرة [5] .

بناءا على ذلك ، بدأت القوات العثمانية متمثلة في الأسطول البحري في تجهيزاتها الحربية بمختلف المعدات الحربية من سفن حربية بأنواعها ، مدافع وبارود ومدافع ومؤن .

حيث أصدر السلطان العثماني سليم الثاني أمرا بتحرك الأسطول العثماني نحو مالطة لحصارها وضمها لأملاك الدولة العثمانية ، والزحف نحو شرق أوروبا لفرض الحصار على جزيرة مالطا وإدخالها في أملاك الدولة العثمانية ، نظرا لأهميتها الاستراتيجية الهامة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

حيث انطلقت القوات العثمانية بقيادة الصدر الأعظم مصطفى باشا [6] و بيالي باشا [1] شهر ماي 1565م المتكونة من 181 سفينة و 25الف مقاتل ونحو مائتي قطعة بحرية لفتح جزيرة

---

1 **علج** : إستخدمت الكلمة خلال العهد العثماني على الأوروبيين المسيحيين الذين دخلوا الإسلام للدلالة على أصولهم المسيحية ، ينظر : عبد الحق بوديسة : **معركة ليبانت 1571م وأثرها على العلاقات في العالم المتوسطي خلال القرن 16م**، مذكرة ماستر ، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، إشراف خير الدين شترة ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، الجزائر، 2015-2016 ، ص 18.

2 **علي باشا** : ولد في كلابريا حوالي 1500م ، وقع أسيرا في قبضة الأسطول الجزائري ، غيّر اسمه وكنيته المسيحية ،" لوقا فالين"، يعتبر من أبرز البحارة ، عين حاكما عاما على الجزائر 1568م ، ساهم في حصار العثماني لجزيرة مالطا 1565م، كما دعم ثورة الموريسكيين في الأندلس 1568-1570م ، وشارك في الفتح العثماني لمدينة تونس 1569 م ، قاد الأسطول الجزائري في معركة ليبانت 1571 م ، ينظر : عبد الحق بوديسة ، المرجع السابق ، ص 28.

3 زيارة سامية : **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (902هـ–1520م/ 1209هـ–1827م)** ، مذكرة ماستر ، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، إشراف دوبالي خديجة ، جامعة ابن خلدون –تيارت – الجزائر ، 2013-2014 ، ص 60.

4 سامية مبروك ، المرجع السابق ، ص69 .

5 يلماز أوزتونا: **تاريخ الدولة العثمانية** ، تر : عدنان محمود سلمان ، مج 1 ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا، 1988 ، ص 319.

6 **مصطفى باشا** : من أبرز القادة البحرية العثمانية من أصول مجرية ، اسندت له قيادة الأسطول العثماني سنة 1555م ، ساهم غي حصار مالطا سنة 1569م ، كما شارك في الفتح العثماني لجزيرة قبرص سنة 1571م ، ينظر : عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع السابق ، ص 21.

مالطا مركز فرسان القديس حنا الاوشليمي[2] ، حيث تمكن الأسطول العثماني من تشديد الحصار على الجزيرة فقد شاركت قوات درغوث رايس بأسطول قوامه اثنتي عشر سفينة ، فقام العثمانيون بحفر خنادق أمام القلاع وحصون مالطا [3] و كذلك التحق حسن باشا ب 40سفينية من إيالة الجزائر بينما تراوحت قوات فرسان مالطا من 900فارس و 9 آلاف من المرتزقة [4].

وصل الأسطول العثماني لجزيرة مالطا في 18 ماي 1565م وباشر في حصار حصونها الذي استمر لأكثر من أربعة أشهر ، وقد كانت المقاومة شديدة حيث تصدوا للهجمات العثمانية العنيفة، لكن القوات العثمانية نجحت في فتح قلعة سانت آلم بعد شن هجوم على القلعة في 24ماي 1565م [5] .

إلا أن درغوث رايس أصيب بشظية أردته قتيلا وقد تأثر المقاتلين بوفاته وأمام وصول المساعدات لفرسان مالطا ضم 600جندي و 28سفينة الذي أثر في مسار حصار ومع اقتراب فصل الشتاء ونفاذ المؤن والذخيرة ووصول مساعدات من فرنسا وإسبانيا وتزايد خسائر البشرية في صفوف الأسطول العثماني ، بالإضافة إلى عدم اتفاق القادة العثمانيين على خطة موحدة للهجوم، كل هذا أدى بالصدر الاعظم مصطفى باشا بالانسحاب ورفع الحصار والعودة إلى إسطنبول [6].

إذن ؛ لقد نتج عن فشل العثمانيين في فتح مالطا تكتل الاتحاد الأوروبي والقوى المسيحية والحلق المقدس بتزعم البابا ، وأثر انتصار فرسان القديس يوحنا تحفيزهم على استرجاع طرابلس الغرب التي عهد بولايتها إلى العلج علي باشا بعد استشهاد درغوث باشا ، بالإضافة التحصينات الإسبانية على قلاعها ومعاقلها في شمال إفريقيا و اهتمامها بالبحر المتوسط و زيادة الخطر العثماني لدى الأوروبيين والتوسع الإسلامي على المراكز المسيحية في البحر المتوسط .

---

1 **بيالي باشا** : يعد من أهم قادة البحارة ، الذي ينحدر من أصول مجرية ، دخل الإسلام بعد معركة موهاج سنة 1526م ، أوكلت إليه مهمة قيادة الاساطيل العثمانية سنة 1555م ، فتح بلاد المورة وجزر البليار ، توفي سنة 1570م ، ينظر : محمود السيد الدغيم : "**أضواء على البحرية الاسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)** " ، في مجلة البحوث والدراسات ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، 6-8 / نوفمبر / 1994 ، ص 403.

2 محمد فريك : المرجع سابق ، ص 146.

3 سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص ص 82،83.

4 عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع سابق ، ص 14.

5 أحمد سالم : **استراتيجية الفتح العثماني** ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية – مصر ، 2012، ص 235.

6 سيد محمد السيد : **تاريخ الدولة العثمانية وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة** ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة – مصر ، 2008، ص 248.

ثانيا/ دعم العثماني لثورة الموريسكيين [1] 976 – 978هـ / 1568 –1570 م

لقد عانى المسلمين في بلاد الأندلس من موجات الظلم والقهر ووسائل التصفية والضغط الاسباني المسيحي عليهم ، حيث إزدادت التهجمات والمعاملات التعسفية والعنف ضد مسلمي الأندلس منذ بداية القرن السادس عشر ومنعوهم من التحدث باللغة العربية والتواصل مع المسلمين في شمال إفريقيا و الأقاليم الإسبانية ،كما منعوا النساء من الخروج في شوارع بالحجاب وأرغموهم بإقامة الحفلات والمناسبات الدينية وفق التقاليد المسيحية [2].

من خلال القوانين التعسفية في حقهم من طرف الحكومة الإسبانية وقد كان آخرها صدور قانون سنة 1567م [3] .

مما دفع الموريسكيين بالاستنجاد بالعثمانيين لدعم ثورتهم التي اندلعت سنة 1568م ولقيت دعما من طرف العثمانيين والعلج علي باشا الذي قام بمساعدة الثوار من خلال صدور أوامر من الديوان الهمايوني بداية 1569م يطلب من قلج علي باشا بإعطاء السلاح وإرسال الجنود لأهل الأندلس تزامنا مع الحملة العثمانية على جزيرة قبرص [4] .

---

1 **الموريسكيين** : مصطلح إسباني (Moriscos) ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد معنى المصطلح واشتقاقاته ، وتعددت المفاهيم وإن اتفق الجميع على المعنى العام للكلمة ، فالكثير من المؤرخين يرى أن أصل الكلمة لاتيني إغريقي مشتق من كلمة Mauri وتطلق على مجموعة ذات بشرة سوداء ، وبعضهم يرى أنها كلمة إسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن عليها الملكان الكاثوليكيان ، أو الذين هاجروا من إسبانيا بين 1492و 1610م ، وهذا العام المتفق عليه ، ينظر : زياني ريم : **الجالية الموريسكية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر 1492–1830م** ، مذكرة ماستر ، التاريخ الحديث ، إشراف بطراوي مصطفى ، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة – الجزائر ، 2018–2019، ص2.

2 عبد العزيز محمد الشناوي : **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، ج2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة مصر ، 2004 ، ص 176 ، ينظر : أسعد حومد : **محنة العرب في الأندلس** ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت –لبنان ، 1988، ص290.

3 عبد الحق بوديسة ، المرجع السابق ، ص27.

4 عبد الجليل التميمي : **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين ،مركز الدراسات و البحوث العثمانية الموريسكية و التوثيق والمعلومات** ، زغوان – تونس ، 1989، ص ص 18–19 ، ينظر : مدني محمد العيد ، يزيد محمد أمين : **موقف الدولة العثمانية من القضية الموريسكية (898هـ–1025هـ/1492م–1616م)** ، مذكرة ماستر، التاريخ الحديث 1492م–1881م ، شدري معمر رشيدة ، جامعة البويرة – أكلي محند اولحاج ، الجزائر، 2017–2018، 94.

حيث عقد اتفاقا سريا مع الثوار في الأندلس واجمعوا على بداية الثورة فور وصول القوات الإسلامية بقيادة علج علي إلى المراكز الساحلية الإسبانية [1] .

جهز قلج علي باشا جيشا قوامه 14الف مقاتل و 60 ألف من المجاهدين واستعد لاسترجاع وهران ثم النزول بالأندلس [2] ، في الوقت الذي كانت اسبانيا تعيش أوضاعا متدهورة بسبب التسيير الإداري الكارثي والأزمات المالية والحروب والصراعات داخليا وخارجيا [3] .

بعد استشعار الخطر الموريسكي في إسبانيا وانتشار صدى ثورتهم في كل أرجاء الأندلس ، باشر الملك فليب الثاني [4] بإعداد الجيوش وحشد الرجال للقضاء على ثورة الموريسكيين .

يمكن أن نفسر استعجال الملك الاسباني فليب الثاني بالتسريع في تجهيز الجنود و التعداد الحربي ، الذي اصبح ضرورة حتمية للقضاء على ثورة الموريسكيين في الأندلس خشية إنتشارها في كامل ربوع الأندلس و إسبانيا ن خاصة مع إبداء السلطان العثماني سليم الثاني موافقته على تقديم العدم العسكري لهم من خلال أوامره للعلج علي باشا .

فأولى القيادة للدون خوان [5] – لابن غير الشرعي للملك شالكان – وبدأ وتنظيم جيوشه لمواجهة الثوار المسلمين بين سنتي 1569–1570م [6] وجمع المقاتلين في كل أرجاء ومناطق الجزيرة الإيبيرية بغية إنهاء الوجود المسلمين في الأندلس والقضاء عليهم نهائيا [7] .

---

1 نبيل عبد الحي رضوان : **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث** ، ط1 ، مكتبة الطالب الجامعي ، السعودية ، 1988 ، ص398 ، ينظر : مدني محمد العيد ، يزيد محمد أمين : المرجع نفسه .

2 نبيل عبد الحي رضوان : المرجع السابق ، ص398 ، ينظر : مدني محمد العيد ، يزيد محمد أمين : المرجع نفسه .

3 سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 87.

4 **فليب الثاني** : هو من أقوى الشخصيات العسكرية الاسبانية خلال القرن السادس عشر ، أبوه شارل الخامس ، ولد سنة 1527م في بلد الوليد بإسبانيا ، نصب حاكما للأراضي المنخفضة وصقلية سنة 1555م ، وعام 1556م تخلى له شارل عن حكم اسبانيا ليصبح حاكمها ، وقد اشتهر بصراعاته المختلفة مع الدولة العثمانية في سواحل البحر الأبيض المتوسط ، ينظر : تركي عباس ، المرجع السابق ، ص 3.

5 **الدون خوان** : هو الإبن غير شرعي لشارلكان ، ولد سنة 1545م ، نجح في القضاء على ثورة الموريسكيين في غرناطة ، عين قائدا للقوات المسيحية المتحالفة ضد العثمانيين في معركة ليبانت 1571م ، إحتل تونس سنة 1573م وتوفي سنة 1578م ، ينظر : عبد الحق بوديسة : المرجع السابق ، ص 31.

6 محمد عبده حتامله : **التهجير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملك فليب الثاني 1527–1598م** ، ط1 ، الجامعة الأردنية ، عمان – الأردن ، 1982، ص 50.

7 سعيدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 88.

فشلت خطة القلج علي باشا في إسترجاع بلاد الأندلس ونجح الدون خوان بإخماد ثورة الموريسكيين، ذلك بسبب إحدى الثوار الذي أكتشف أمره من طرف الإسبان وعلى إثر ذلك عثر على مخازن السلاح والبارود بالإضافة إلى أسره العديد من الثوار المسلمين وبذلك فشلت ثورة الموريسكيين وقامت مجارز رهيبة من طرف الإسبان [1] ، حيث مارسوا على مسلمي الأندلس أقسى انواع التعذيب والتهجير والاضطهاد والحرق والتنكيل وتدمير القرى والمساكن وحرق المحاصيل ، حيث تواصلت عمليات المطاردة الاسبان الموريسكيين الذين فروا بأعداد كثيرة إلى سواحل بلاد المغرب وأنحاء ومناطق الدولة العثمانية إلى غاية 1570م [2] .

أدت الهجرات الموريسكية إلى بلاد المغرب الإسلامي من انتعاش الحملات الاسلامية ضد الاسبان ، حيث قدم الموريسكيين الفارين من الأندلس خدمات جليلة القوات العثمانية والأساطيل المغربية بفضل تمكنهم من اللغة الإسبانية والمسالك البحرية مما زاد اهتمام الملك فليب الثاني بالساحل المغربي [3] .

أعطت الثورة الموريسكية بعدا آخرا للحملات الصليبية الإسبانية ضد العثمانيين وإيالاتها في الشمال الإفريقي– على غرار الجزائر وطرابلس الغرب – والقضاء على النفوذ العثماني في الساحل المغربي ، وأصبحت إسبانيا حاملا للواء الحلف المقدس الصليبي ضد العثمانيين في معركة ليبانت 1571م .

ثالثا/ التحرير العثماني لتونس :977هـ – 1569م :

نظرا للأهمية الإستراتيجية لتونس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [4] فقد شكلت المنطقة صراعا بين القوى الحديثة من 1535م بين أطراف الصراع – الحفصيين والإسبان من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى – حيث تطلع العثمانيون لضم تونس وتوسيع نفوذهم وسيطرتهم على البحر المتوسط , وتخوف الدول غرب أوروبا المسيحية التي هبت تدفعها النزعة الدينية و الحقد

1 أحمد سالم ، **إستراتيجية الفتح العثماني** ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية – مصر ،. 2012 ، ص267 .

2 أسعد حومد ، المرجع السابق ، ص316 ، ينظر : سعيدية سعيد علي البيشي ، المرجع السابق ، ص 91.

3 عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 15 ، ينظر : أحمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16** ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية – مصر ، 2011، ص 145.

4 سعيدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 91 .

الصليبي لرد التوسعات العثمانية في الساحل الإفريقي , وذلك من خلال الإستيلاء على جربة 1560م وهذا ما توقعه الباب العالي [1] .

هذا ما جسده العلج علي باشا في إسترجاع تونس من أيدي الإسبان سنة 1569م , مستغلا بذلك الأوضاع المتدهورة في عهد السلطان أحمد الحفصي من خلال سياسته الداخلية التي أثارت سخط الرعية [2] مما دفع أعيان المدينة إلى الاستعانة بالعلج علي باشا للتخلص من الإسبان والسلطان الحفصي [3] منتهزا بذلك اهتمام الإسبان بثورة الموريسكيين بالأندلس وهذا ما كان يطمح إليه [4] .

حيث أعد حملة لتحرير تونس 977هـ شهر أكتوبر 1569م , فجهز جيشا يتألف من خمسة آلاف رجل وإنضمت إليه قوات أخرى من قبائل عمراوة وقرفة وسويد ليصل العدد الى سبعة آلاف مقاتل , بينما تراوح عدد جنود السلطان الحفصي ألف وستة مئة رجل ، حيث حقق العلج انتصار عظيما على السلطان الحفصي وتحرير تونس واسترجاعها [5] ، وقد أرسل بطلب سلطاني من الاستعانة بالأسطول البحري العثماني لتحرير الحصن الإسباني في حلق الوادي الذي يمثل أحد الثغور الحربي في المتوسط منذ 1535 م , والذي يشكل خطرا على تونس والإيالات في الساحل المغاربي (الجزائر وطرابلس الغرب) .

1 سحابات زهيرة : "**جهود العلج علي باشا في عثمنة تونس على ضوء مهمة دفتري** "، في مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا ، مج 06، ع 01 ، 31 /جانفي / 2023 ، ص199 ، ينظر : صالح عبّاد : **الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830** ، دار هومه ، الجزائر ، 2012 ، ص 94.

2 ابن ابي دينار : **المؤنس في أخبار أفريقية وتونس** ، ط1، المطبعة التونسية ، تونس 1870، ص 163، ألفونص روسو : **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** ، تر و تح : محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي – ليبيا ، د.ت ، ص 96.

3 ابن ابي دينار : المصدر نفسه ، ينظر : عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع السابق ، ص 18.

4 سحابات زهيرة : المرجع السابق ، ص199.

5 نيقولاي ايقانوف : **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516–1574**، ترجمة : يوسف عطا الله ، ط 1 ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، 1988 ، ص ص 242–243 ، ينظر : تركي عباس : " **إضاءات حول شخصية بيلرباي الجزائر قليج علي 1568– 1587** " ، في مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، مج 2 ، ع 4 ، جويلية 2020، ص ص 110،109.

لكن السلطان العثماني سليم الثاني لم يرد على طلبه لانشغال أسطوله بفتح قبرص , حيث ترك بيلرباي الجزائر(علج علي باشا)حامية عسكرية بتونس وكلف رمضان باشا بمهمة حمايته من التهديد الإسباني في حلق الوادي [1] .

إذن ؛ شكّل الاهتمام العثماني بتونس وتحريرها من أيدي الإسبان و محاولة استرجاع حلق الوادي تهديدا حقيقيا للنفوذ الإسباني في تونس وسيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وفقدان مراكزها في الساحل المغاربي لصالح التوسعات العثمانية في بلاد المغرب الإسلامي , انذار بالصدام والمواجهة العسكرية المباشرة بين الهلال والصليب .

رابعا/ الفتح العثماني لجزيرة قبرص :978هـ – 1570م :

فرضت الدولة العثمانية سيطرتها على الجهة الغربية للحوض المتوسط , وهذا بعد فتح جزيرة جربة سنة 967هـ / 1559م وحصار جزيرة مالط 973هـ /1565م , وفتح تونس وتحريرها من سيطرت الإسبان سنة 977هـ /1569م , لهذا أصبح العثمانيون أسياد البحر الأبيض المتوسط[2] .

إن تفوق الدولة العثمانية في الحوض البحر الأبيض المتوسط أجبر أسبانيا والبندقية على التراجع في المجال البحري , حيث سلمت نابولي – التي كانت تابعة للبندقية لأملاك الدولة العثمانية – ودفعت الجزية مقابل جزيرة قبرص [3].

إن فتح جزيرة قبرص يعتبر أمر بالغ الأهمية خاصة من جانب الملاحة في شرق البحر المتوسط, حيث وصفها يلماز أزوتونا أنها "**وكر القراصنة وبلية على المسلمين** " [4] ، وقد سعت الدولة العثمانية للسيطرة على تلك المناطق البحرية والثغور الإستراتيجية الهامة لسد التفوق والخطر البرتغالي في شرق آسيا والهند [5] .

1 ألفونص روسو : المصدر نفسه ، ينظر : ابن ابي دينار : المصدر السابق ، ص 164.

2 روبير شواسّوا : **المعارك البحرية الكبرى في تاريخ** ، تر: عبد الرحمن حميدة ، مركز الدّراسات العسكرية دمشق – سوريا ، 1984 ، ص 28 ، ينظر : سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 97.

3 خليل اينالجيك : **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ، تر : محمد الأرناؤوط ، ط1 ، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان ، 2002، ص 68 ، ينظر : أحمد سالم : **إستراتيجية الفتح العثماني** ، المرجع السابق ، ص 260، ينظر كذلك : يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص369.

4 يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 369.

5 سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 98، ينظر : أحمد سالم : المرجع نفسه .

بالإضافة للتصدي لهجمات القراصنة الأوروبيين في قبرص على طرق الملاحة العثمانية في شرق المتوسط , والسفن التجارية ومراكب الحجاج العثمانيين الى الحرمين الشريفين [1].

حيث مثلت قبرص مركزا هاما للتحرشات الصليبية على الدول الإسلامية في الساحل المتوسط, بالإضافة إلى المساعدات التي تقدمها للأساطيل الأوروبية المسيحية في حوضي البحر الأبيض المتوسط [2] .

لذا كان فتح قبرص أمرا ضروريا , لهذا سعى السلطان العثماني سليم الثاني [3] لفتحها وضمها لأملاك الدولة العثمانية لتوسيع رقعتها الجغرافية ونفوذها وسيطرتها على الحوض الأبيض المتوسط .

مع أن الصدر الأعظم صوقوللو باشا [4] كان معارضا للحملة العثمانية على قبرص ، حيث فضل ارسال السفراء الى البندقية وطالبه بتسليم قبرص دون شروط لتوفير جهود الأسطول العثماني وعدم تحمل مشاق الحصار الذي قد يطول أجله , حيث البندقية رفضت طلب السلطان العثماني[5].

---

1 بجوى إبراهيم أفندي : **التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول** ، تر وتق : ناصر عبد الرحيم حسين ، مج 1 ، ط 1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة – مصر ، 2015، ص 526، ينظر : سيد محمد السيد محمود : المرجع السابق ، ص 302.

2 يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 369 ، ينظر: سعيدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 99، ينظر كذلك : أحمد عبد الرحيم مصطفى : **في أصول التاريخ العثماني** ، ط 4، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، 1986، ص 146.

3 **سليم الثاني** : ولد سنة 1525م أصبح سلطان الدولة العثمانية ما بين 1566-1574م ، ابن السلطان سليمان القانوني والجارية الروسية روكسلان ، آل إليه الحكم بعد أن قام أبوه بقتل أبنيهما الآخران بسبب تحريض أمه ، قاد حملة على اليمن وفتح قبرص سنة 1571م ، ينظر : سامية مبروك ، المرجع السابق ، ص 71.

4 **صوقوللو باشا** : محمد باشا الملقب بالطويل ، من أشهر الصدور العظام الترك ، ولد في قرية صقول من البوسنة اهلته مواهبه لتولي مناصب هامة في خدمة السراي منها (قابوجي كخياسي) في عام 1546م ، ترك خدمة السراي وخلف خير الدين في منصب قبودان باشا بعد ثلاث سنوات عين بايلرباي لروملي ، صحب سليمان القانوني في حملته على بلاد فارس وحصل بعدها على رتبة " وزير ثالث " ثم تزوج اسميخان أخت سليم الثاني وكانت تصغره بأربعين سنة ، ثم تولى منصب الصدر الأعظم عقب وفاة أحمد باشا وظل فيه إلى غاية وفاته عام 1579م ، ينظر : سميرة حمادي : **علج علي باشا أمير أمراء الجزائر (1508–1587م)** ، مذكرة ماستر ، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، إشراف حسين محمد شريف ، جامعة محمد بوضياف المسيلة – الجزائر ، 2015-2016، ص 34.

5 سعيد أحمد برجاوي : **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري** ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان، 1993، ص134 ، ينظر : جون ب . وولف : **الجزائر و أوروبا 1500–1830**، طبعة خاصة ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009، ص 85 ، ينظر كذلك : سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص ص 99-101. روبير شوسوا : المصدر السابق ، ص 30.

عمل البابا بيوس الخامس [1] إلى دعوة توحيد الأساطيل الأوروبية وتشكيل الحلف المقدس المسيحي للقضاء على السيطرة العثمانية في البحر المتوسط وتوقيف توسعاتها , حيث وافقت كل من اسبانيا وجمهورية جنوة ونابولي ودقيا وساقوا وتوسكان , بينما رفضت فرنسا وانجلترا المشاركة في المواجهة لعدم استفادها من هذه الحرب والتي قد تعود عليها بانعكاسات وخيمة [2].

بناءا على ذلك بدأ السلطان العثماني الاستعدادات لفتح قبرص واعتمد على الجواسيس والتشكيلات السرية لتدمير ميناء لصناعة السفن في سواحل البندقية , حيث قاد العملية داما ديبالي باشا فخلف حريق كبيرا أحرق العديد من سفن البنادقة , حيث فهمت البندقية أن العثمانيين يستهدفون جزيرة قبرص , فجهزت أسطول مكون من مئتي سفينة لصد العثمانيين [3] .

أما الأسطول العثماني فتألف من ثلاثمئة وستين سفينة أوكل أمر قيادته للقبودان [4]مأذن زاده علي باشا [5] و حملت ألف مقاتل منها ستين ألف مشاة وجنود البحرية ، إضافة إلى قوات عسكرية من الأناضول [6] و الروملي [7] وخمسة آلاف من جنود الإنكشارية بقيادة الوزير لالا مصطفى باشا

---

1 **بابا بيوس الخامس** : (1504–1572م) شغل منصب بابا روما 1566–1572م ، عمل على إصلاح الكنيسة الكاثوليكية ، قاوم الهراطقة مسلطا عليهم سيف الديوان التفتيش ، شن هجوما عنيفا على البروتستنتية ووفق إلى إستئصالها من إيطاليا ، نجح في عقد تحالف المقدس المسيحي ضد النفوذ العثماني في أوروبا خلال معركة ليبانت سنة 1571م ، ينظر : منير البعلبلكي : المرجع السابق ، ص 133.

2 روبير شوسوا : المصدر السابق ، ص 30 ، ينظر :سيد محمد سيد محمود : المرجع السابق ، ص 303 ، ينظر كذلك : سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 103.

3 يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 369 ، ينظر : عبد الحق بوديسة : المرجع السابق ، ص 30 .

4 **القبودان** : أميرال البحرية الكبير ورئيس الأسطول العثماني ، وهو أعلى رتبة عسكرية في البحرية العثمانية ، ينظر : سهيل صابان ، المرجع السابق ، ص 177.

5 **مأذن زاده علي باشا** : من أشهر البحارة العثمانيين ، تولى منصب سردار بأمر من السلطان سليم الثاني على جزيرة قبرص 1570م ، ينظر : عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 20 .

6 **الأناظول** : يطلق اسم الاناظول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في آسيا ، وكان يطلق في الماضي على وحدات إدارية صغيرة أحيانا ، ثم إتسع فأصبح علما على أراضي شاسعة ، وتشمل المنطقة التي تعرف بآسيا الصغرى قبل اطلاق إسم الاناظول عليها ، ينظر :سهيل صابان ، المرجع السابق ، ص39 .

7 **الروملي** : الاسم العام الذي أطلق على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا ، ينظر : سهيل صابان : المرجع السابق، ص 129.

, حيث إتفق القادة على الخطة الحربية اللازمة وأرسل الباب العالي أوامره للعلج علي باشا لاستعداد الأسطول البحري لفتح قبرص [1].

حيث جهز علي باشا أسطولا مكونا من مئة وخمسون غرابا [2] انضم الى الأسطول العثماني وقد وقعت مناوشات في طريقه مع أسطول مسيحي , حيث استولى على عدد من السفن والمدافع وإلتحق بالقوات العثمانية , وبعد تشاور القادة اتفقوا على مهاجمة قلعة نيقوسيا حيث تعتبر عاصمة قبرص واحدى أهم المراكز ومعاقل المدينة فقد قام العثمانيون ببناء برج أمام القلعة لتشديد الحصار وقصفها بالمدافع , فقد تمكن الجند العثماني من فتحها طيلة شهر من حصارها مخلفين خسائر بشرية كبير في صفوف المسحيين , فقد طالب أهل سيرينه الامان وأرسلوا مفاتيح القلعة للقائد العثماني وبهذا أصبحت نيقوسيا قلعة عثمانية [3].

ركز العثمانيون جهودهم بعد ذلك إلى فماغوستا التي تمثل أصعب التحصينات والمراكز في قبرص، واحتوائها على أعداد كبيرة بين المقاتلين والأسلحة والمدافع ، بالإضافة إلى أسوارها المنيعة والتي أعطى إليها موقعا وثغرا حربيا من المستحيل الاستيلاء عليه ، تبع ذلك فرض العثمانيين حصارا شديدا معتمدين على كل الإمكانيات والوسائل الحربية من أسلحة ومدافع وغيرها [4] .

إلا أن حلول فصل الشتاء والبرد القارس عرقل عملية الحصار ، لكن الأسطول العثماني وفور دخول فصل الربيع عاد لتشديد الحصار أكثر على القلعة وقطع الإمدادات عنها [5].

بعد حصار طويل وشديد ونفاذ المؤن والذخيرة وتفشي المجاعة والأمراض بين المدافعين عن الحصن، أعلنوا الإستسلام وطلبوا الأمان في شهر أوت عام 1571 م وسلموا مفاتيح القلعة

---

1 محمود السيد الدغيم : **أضواء على البحرية الاسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)** ، مجلة البحوث والدراسات ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، مصر ، 1994، ص 403،
ينظر : سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 106 ، ينظر كذلك : يلماز أوزوتونا : المرجع السابق ، ص 370.

2 **غرابا** : نوع من المراكب القرطاجية والرومانية ودول البحر المتوسط ، استخدمت في عهد الدولة العثمانية ، وقد أطلق عليه اسم الغراب لأن مقدمة رأسه تشبه الغراب ، ينظر : سعيدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 107.

3 ابراهيم حليم بك : **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية** ، ط1 ، مطبعة ديوان عموم الأوقاف ، د.م ، 1905، ص 98 ، تركي عباس : المرجع السابق ، ص 112 ، ينظر : سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 134.

4 محمود السيد الدغيم : المرجع السابق ، ص 403 ، ينظر : سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 109 .

5 نفسه ، ينظر : عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع السابق ، ص 22 .

للعثمانيين ، لكن مصطفى باشا قام بشنق قائد الحامية وضباطه[1] ، حيث أشار روبير شوسوا في قوله : **"ولكن مصطفى باشا الذي حز في قلبه ثقل الخسارة التي بلغت خمسين ألف جندي من رجاله البواسل في هذا الحصار ، أمر بشنق الضباط الاسرى وقتل كل الجنود الذين تم القبض عليهم، أما قائد الحامية براغادينو فقط كانت له معاملة خاصة إذ أمر بسلخ جلده حيا ، ثم أوعز بدباغة جلده الذي أرسل للسلطان في القسطنطينية كي يحتفظ به في قصره، وبعد بضعة أعوام إفتدت البندقية جلد هذا القائد بمبلغ كبير من الذهب واحتفظت به في كنيسة القديس يوحنا وبولس حيث تقع مدافن رؤساء جمهورية البندقية ومواطنيها المثاليين "** [2].

هنا نرى أن مصطفى باشا أخلف بوعده وغدر بقائد الحامية المسيحية وضباطه رغم حصولهم على الأمان و إستسلامهم ، حيث و رضخ لرغباته في الانتقام الخسائر البشرية الكبيرة في الجنود العثمانيين التي بلغت خمسين ألف جندي نتيجة الحصار على القلعة .

هكذا فتحت القوات العثمانية قلعة فماغوستا [3] بعد حصار دام إحدى عشر شهرا ، حيث عملت الدولة العثمانية على تثبيت حكمها في قبرص ، من خلال جلب أعداد هائلة من سكان الأناضول ونقلهم إلى جزيرة قبرص لتوطينهم فيها ، وقد رحب سكان بالحكم العثماني خاصة القبارصة الأرثودكس ، والتي أصبحت من ممتلكات الدولة العثمانية [4].

نرى أن الفتح العثماني لقبرص قد أثر كثيرا على العالم المسيحي وارسلت الدولة العثمانية برسالة للقوى الأوروبية مفادها أنها سيدة المتوسط ودقت نقوس الخطر مهددة في زيادة توسعاتها شرقي البحر المتوسط على حساب التكتلات المسيحية التي زاد كرهها الشديد و صدمتها من فقدان قبرص التي تعتبر من بين أهم الثغور الحربية المسيحية ، واشعل فتيل الصدام الكبير بين الحلف المقدس المسيحي والدولة العثمانية تمثلت في معركة ليبانت سنة 1571م .

1 روبير شوسوا : المصدر السابق ، ص 31 ، ينظر : محمود السيد الدغيم : المرجع نفسه ، ينظر كذلك : سعدية سعيد علي البيشي : المرجع نفسه .

2 روبير شوسوا : المصدر نفسه .

3 **قلعة فماغوستا** : تقع على الساحل الشرقي لميناء اللاذقية الشامي ، ينظر : سعيدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 101.

4 يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 371 ، ينظر : سعدية سعيد علي البيشي ، المرجع السابق ، ص ص 110،111.

المبحث الثاني :

مجريات المعركة

أولا / نداء البابا وتشكيل التحالف المسيحي 978هـ / 1570م :

شكلت سيطرت الدولة العثمانية على ضفتي البحر الأبيض المتوسط ، بالإضافة إلى الانتصارات التي حققتها في أوروبا ، خاصة بعد فتح قبرص 1570م التي تعتبر أهم المواقع الاستراتيجية الهامة للمسيحيين التي خلفت حالة قلق واضطراب لدى الدول الأوروبية من النفوذ العثماني على المناطق الاوروبية المسيحية [1].

فقد شعرت الدول الأوروبية بالخطر العثماني وزحفه على مناطقها ، حيث بادر البابا بيوس الخامس لتوحيد الدول الأوروبية تحت راية البابوية ، فعمل على توجيه نداء لجميع الدول الأوروبية المسيحية من أجل عقد حلف مقدس لإنهاء النفوذ والتفوق العثماني [2] .

بدأت اتصالات البابا بيوس الخامس لتشكيل الحلف المقدس وبعث وفود إلى ملوك إسبانيا والبرتغال وفرنسا وبولندا ، وأمراء إيطاليا ، و إمبراطورية ألمانيا ، وملك موسكو ، وطلب منهم إلى ضرورة التحالف لمساعدة البندقية ، مبينا لهم الزحف العثماني وتفوقه في البحر المتوسط وخطره على كل الممالك الغربية ، وتشكيل تحالف للتصدي للأتراك العثمانيين والدفاع عن المسيحية [3].

فقد وجه البابا بيوس الخامس رسالة إلى ملك إسبانيا فليب الثاني في الثامن من شهر مارس سنة 978هـ/1571م [4] قال فيها : **" إن الإمبراطورية قد امتدت بفعل تخاذلنا حتى أصبحنا لا نستطيع أن نقف في وجهها إلا إذا اتحد الحكام المسيحيون ضدها و واجهوها بجيوش قوية برية وبحرية ... ونحن متأكدون من أنه لا يوجد حاكم مسيحي قادر على الوقوف بمفرده في وجه الأتراك"** [5].

أسفرت جهود البابا بيوس الخامس في استمالة الدول الأوروبية وتلبية النداء لتشكيل الحلف المقدس المسيحي وتوقيع " **عقد الحلف المقدس** " في 25 ماي 1571م شاركت فيه إسبانيا

---

[1] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 23.

[2] روبير شوسوا : المرجع السابق ، ص 52.

[3] عبد القادر فكاير : **دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571** ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 9 ، ديسمبر 2014، ص ص 416،417.

[4] عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع نفسه .

[5] Falloux Le Comte de , **Histoire de Saint Pie V Pape de l'ordre des frères prêcheurs**, t.2, 3è, ed: Amboise Bray, Libraire-éditeur, Paris, 1858 , P 223.

والدويلات الإيطالية ، حيث عين البابا رئيسا له وأعلن عنه يوم 28جويلية 1571م ، حيث عين البابا الدون خوان النمساوي قائدا عاما للقوات المسيحية [1].

ثانيا / نداء السلطان العثماني لحكام الإيالات العثمانية 978هـ /1571م :

عندما علمت الدولة العثمانية بالتحالف الأوروبي المسيحي بفضل الجواسيس في البندقية ، بدأت الاستعدادات لمواجهة الحلف المقدس المسيحي ، [2]حيث راسلت حكام الإيالات المغاربية من خلال خطابا سلطاني خصّ كل من جعفر باشا [3] والي طرابلس الغرب والعلج علي باشا بيلرباي الجزائر ، والوزير برتو باشا [4] قائد القوات البرية ، يدعوهم إلى تجهيز واستعدادات قواتهم للوقوف في وجه التحالف المسيحي الأوروبي والذي يشكل خطرا كبيرا على الأقاليم و الإيالات المغاربية [5].

نظرا لمكانة الجزائر وسيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وقوة أسطولها البحري، أرسل السلطان سليم الثاني فرمانا سلطانيا لبيلرباي الجزائر علج علي باشا مؤرخ في 2 ذو القعدة 978هـ/1571م يأمره بالانضمام للأسطول العثماني [6] ، حيث جاء فيه : **" لقد تقرر في هذه السنة الخيرة غزو الكفار من البر والبحر وإلحاق الخسارة بجزره المعادية – هزمه الله – وكذلك بقصد دفع ورفع مضرته وفساده ، ونظرا لاعتمادي الهمايوني على حسن فراستك وكياستك ووفور شجاعتك وشهامتك ، فإنني آمرك ومن معك من السفن و الغاليات بكامل أسلحتها بالتوجه عاجلا لملاقاة المشار إليه الوزير برتو باشا "** [7].

---

[1] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 417 ، ينظر : أحمد فؤاد متولي : **تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي**، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، 2005 ، ص 281 .

[2] نفسه .

[3] **جعفر باشا** : والي طرابلس الغرب من 1569م – 1581م ، قاد البحرية الطرابلسية إلى جانب الاسطول العثماني في معركة ليبانت 1571م التي تتكون من ست مراكب ، ينظر : احمد طويل : **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرمانلي** ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ليبيا ، 2002، ص 47.

[4] **برتو باشا** : من أصل ألباني ، وقيل كرواتي ، تقلد عدة مناصب في الأسطول العثماني ، قائد القوات البرية في معركة ليبانت 1571م ، ينظر : محمود السيد الدغيم : المرجع السابق ، ص 62.

[5] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 25.

[6] سامية مبروك : المرجع السابق ، ص 74.

[7] عبد القادر فكاير : المرجع نفسه .

حيث خرج علج علي باشا متوجها بقوات بحرية قوامها 50 سفينة وإلتحق بالقوات البحرية العثمانية [1] ، بعدما تلقى أمرا آخر من سليم الثاني يطلب منه عدم التأخر لعدم العثمانيين [2].

فقد شن في طريقه غارات على مواقع ومناطق مسيحية على غرار جزيرتي كاندي وسيريغو التابعتين للبندقية وجزر في البحر الأدرياتيك والجزر الأيونية [3] ، بالإضافة إلى جمع معلومات ورصد تحركات الأسطول المسيحي ونقل أخباره إلى قيادة الأسطول العثماني [4].

ثالثا / عقد القيادة العثمانية للمجلس الحربي :

باقتراب الأسطول المسيحي المتحالف من رأس كولون في جنوب إيطاليا يوم 20سبتمبر979هـ/1571م ، ووصوله إلى جزيرة كورفو بعد ستة أيام ، حيث تقدم الأسطول المسيحي بخليج باتراس عند مدخل خليج ليبانت[5] ، اجتمع المجلس الحربي للأسطول العثماني الذي تواجد فيه علي باشا والوزير برتو باشا وعلج علي باشا وجعفر باشا وحسن باشا بن خير الدين [6].

حيث اختلفت الآراء بخصوص خطة المعركة خلال المجلس ، فقد اقترح رياس البحر وخاصة علج علي التريث وعدم المواجهة للأسطول المسيحي ، خاصة أن الأسطول العثماني غير مجهز تجهيزا كاملا بالعتاد الحربي والذخيرة والمدافع ، كما أنه خاض عدة مواجهات حربية في البحر لمدة ستة أشهر والذي أثر سلبيا على تحضيرات واستعدادات القوات العثمانية للمعركة ، وفضّل خوض المواجهة بعد نهاية فصل الشتاء وتقوية الأسطول وتدعيمه بالمعدات الحربية ، حيث وافقه معظم رياس البحر[7].

---

[1] Henri Delmas De Grammont :**Histiore d'Alger sous la Domination Turque 1515-1830 ,** présentation de Lemnaouar Marouche, Editions Bouchene, 2002 , p 102.

[2] محمد سي يوسف : **قليج علي ودوره في البحرية العثمانية** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف أبو القاسم سعد الله ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1988، ص 117.

[3] F.Diogo de Haedo : **Histoire des rois d'Alger , Traduit :H.-D. De Grammont**, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur- Librairie,Alger, 1824, p 412.

[4] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 417.

[5] **خليج ليبانت** : مدينة واقعة بالقرب من المدخل الشمالي لخليج كورنت باليونان ، يطلق عليها الأتراك تسمية إينه بختي ، ضمها السلطان محمد الفاتح سنة 1470م وبقيت تحت حكم العثمانيين إلى غاية سنة 1687م ، ينظر : سامية مبروك : المرجع السابق، ص 72، **ينظر للملحق رقم 01**.

[6] يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 373 ، ينظر : عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 26 .

[7] إبراهيم حليم بك : المرجع السابق ، ص 99 ، ينظر : عبد الحق بوديسة : المرجع السابق ، ص 36.

بينما رأى علي باشا والوزير برتو باشا ضرورة المواجهة الفورية والخروج للعدو ، بحجة أنهما تلقيا أمرا من الديوان يقضي بالهجوم على الأسطول المسيحي [1] ، حيث يذكر ابراهيم بك حليم أحداث المجلس فيقول : " **اختلفت الباشوات في آراء ، فمنهم علي باشا أولوج قال : إن قوتنا البحرية ناقصة وضروي من استكمالها لأول ربيع القادم ، كرر ذلك . ولرغبة محمد باشا الصدر الأعظم في كسر نفوذ برتو باشا لم يصغ لمذكرات علي باشا المذكور ، بل استمال فكر علي باشا بن المؤذن في ترجيح الدخول في حرب حالا . ثم قال علي باشا علي باشا أولوج لعلي باشا بن المؤذن بعدم لزوم التوغل بالسفن في عرض البحر ، ونادى بذلك بأعلى صوته مرارا ، فلم يقبل قولا منه إني لا أظهر شبه فرار حتى يقول الأعداء فرت الدونانمة العثمانية بل أسرع بالهجوم . فغضب علي باشا أولوج وناداه وقال : إن الهوى ضد مراكبنا وصالح لمراكب الأعداء**" ، فلم يصغ إليه [2] .

رابعا / الاستعدادات المسيحية للمعركة :

على إثر عقد التحالف الاوروبي المسيحي ، بدأت الأساطيل المسيحية في الاستعدادات لمواجهة الأسطول العثماني ، فقد تألف الأسطول المسيحي (أرمادا) من 295سفينة و 30 ألف جندي ، 16ألف جدافا و 208 سفن حربية ؛ منها 114بندقية و 70 إسبانية و 12 بابوية و 3 جنوية و 36 سفن مالطية تحت قيادة فرسان القديس يوحنا ، 3 سفن سافؤائية [3] .

حيث نرى أن تعداد قوات التحالف الأوربي كان هائلا من ناحية السفن والجنود والتعداد الحربي ، الذي يأكد على الجدية في تحقيق طموحات المسيحية الأوروبية في القضاء نهائيا على الدولة العثمانية ونفوذها في حوضي البحر الأبيض المتوسط .

---

[1] بجوى إبراهيم أفندى : المصدر السابق ، ص 535.

[2] إبراهيم حليم بك : المرجع السابق ، ص 100.

[3] محمد فريد بك المحامي : **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ، ط1 ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، 1981، ص 257 ، ينظر : يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 372.

فقد إحتوت السفن على معدات حربية من أسلحة وبارود مدافع ومؤن وذخيرة [1] ، وقد عهد قيادة الأسطول التحالف المسيحي إلى الدون خوان نظرا لشجاعته ونجاحه في القضاء على الثورة الموريسكيين بالإضافة إلى قواد وأميرالات مشهورين ذو خبرة وتجربة حربية [2].

يمكن القول بأن حجم القوات و الاستعدادات الحلف الأوروبي المسيحي الكبيرة يعكس النزعة الدينية الصليبية و الحقد المسيحي على العالم الإسلامي فهي السّمة البارزة والسبب الجوهري للصدام العثماني والتحالف الأوروبي المسيحي والذي تجسد في معركة ليبانت 1571م .

خامسا / الاستعدادات العثمانية للمعركة :

شملت الاستعدادات العثمانية مختلف النواحي المادية والبشرية وتوفير العتاد الحربي من سفن بحرية ومدافع وبارود وذخيرة ، حيث عمل السلطان العثماني سليم الثاني لتقوية أسطوله للتصدي للأسطول المسيحي [3].

تكونت القوة البحرية العثمانية من 300سفينة حربية ، وتذكر بعض المصادر أنها قدرت بنحو 245سفينة ، في حين ذكرت المصادر الأجنبية أن العمارة العثمانية تشكلت من 230 سفينة حربية [4].

تراوح عدد الجنود الأسطول العثماني من 34 ألف مقاتل ، و 13 ألف بحارا ، 750 مدفعا ، 41ألف مجدف ، فقد شملت الاستعدادات العثمانية توفير مختلف أنواع السفن التي بمقدورها اختراق سفن الأعداء ، بالإضافة إلى توفير المؤن الغذائية والمعدات الطبية الآزمة [5].

فقد عهد بقيادة الأسطول العثماني للقبودان مؤذن علي باشا ، بينما تولى القوات البرية الوزير بورتو باشا،حيث تمركزت السفن العثمانية في خليج باتراس عند مدخل خليج ليبانت في 26 سبتمبر 1571م [6].

---

[1] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 29.

[2] احمد رمضان أحمد : **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط << العصر الوسيط >> (35هـ–655م / 978هـ–1571م)** ، وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، 1986، ص 45 .

[3] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 29.

[4] عبد القادر فكاير ، المرجع السابق ، ص 418 ، ينظر : علي حسّون : **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية** ، ط3 ، دار المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1994، ص 126.

[5] عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع السابق ، ص 30.

[6] عبد الحق بوديسة : المرجع السابق ، ص 36 .

سادسا / اندلاع المعركة :

عندما علم الدون خوان النمساوي بتحركات الأسطول العثماني ، أمر الأساطيل الأوروبية بالإلتقاء في ميناء مسينا الصقلي ، وفي يوم 16 سبتمبر وصل الأسطول المسيحي إلى جزيرة كورفو شمال غرب اليونان ، وفي يوم 5 أكتوبر وصلت الأساطيل المسيحية إلى سواحل كازولاري قرب خليج ليبانت [1].

بناء على ذلك ، أمر العلج علي الأسطول العثماني بالتقدم والخروج من خليج ليبانت ، وقد رتب القبودان علي باشا القوات العثمانية على الشكل الخماسي نصف دائري ، بحيث قاد القلب علي باشا والميمنة بقيادة محمد شولوك باي الإسكندرية والميسرة بقيادة العلج علي باشا بيلرباي الجزائر [2] .

أما الدون خوان فقد رتب قوات التحالف المسيحي على شكل نصف دائرة كبيرة ، حيث كانت الشون في المقدمة وفي طليته جبهة مؤلفة من 150 مركبا ، أما الاحتياطي في الخلف بقيادة سانتا كروز ، وقد وضع الدون خوان السفن الست الضخمة للبندقية في المقدمة والتي وصفها جون وولف ب " مدرعات البحر " شكلت درعا حاميا للأسطول المسيحي [3].

في اليوم السابع أكتوبر 1571م بدأت المعركة على الساعة الثانية زوالا ، وأعطى برتو باشا اشارة انطلاق المعركة واقترب الأسطولان من بعضمها وبدأت تتبادلان الطلقات ، حيث أطلق علي باشا مجموعة من السفن للهجوم على وسط الأسطول المسيحي وتخريبه وإصابة الدون خوان ، وقد استغلت الأساطيل العثمانية الرياح الجنوبية الشرقية و الاستحواذ على سفن البابا [4].

حيث تفوق الجناح الأيمن للأسطول العثماني في البداية ، لكن المسيحيون اعادوا تنظيم صفوفهم وأغاروا على ميمنة العثمانيين وقتلوا محمد شولاق ، بعدها شنت قوات المسيحية هجمات متتالية على سفن علي باشا التي واجهت سفن الدون خوان ، حيث جرى بينهما تشابك قوي

[1] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 31.

[2] سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 137 ، ينظر : أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ، ص 6 .

[3] جون–ب– وولف : المصدر السابق ، ص 88.

[4] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 32 ، **ينظر للملحق رقم 02**.

وتبادلا من خلاله تحرير الأسرى من الطرفين [1] ، لتمكنّ سفن الدون خوان من اختراق سفينة علي باشا القائد العام للأسطول العثماني و قطع رأسه والاستيلاء عليها ورفع علم الحلف المقدس [2].

أما العلج علي باشا الذي كان يقوم الجناح الأيسر للأسطول العثماني فقد تمكن من السيطرة على سفينة كوردونا و السفن المالطية بعد هجمات واشتباكات معها ، لكنه بعدما سمع بمقتل علي باشا وإنهزام الجناح الأيمن للأسطول العثماني ، و وصول الامدادات من خلال السفن المسيحية الاحتياطية التي يقودها سانتا كروز ، قرر الانسحاب من المعركة مع 30 سفينة وإنقاذ 50 سفينة عثمانية و التوجه إلى جزيرة سانت مورا حيث لحق به الدون خوان لكنه لم يتمكن من إدراكه ليعود أدراجه [3].

بعد معركة دامت ثلاث ساعات بين الأسطول العثماني والأسطول المسيحي ، تمكن الأسطول المسيحي من تحقيق انتصار كبير في المعركة [4] ، حيث أظهر فيها العلج علي باشا شجاعة ومهارة وخبرة حربية عالية [5] .

[1] عبد الحق بوديسة ، المرجع السابق ، ص 40 .

[2] سعيد أحمد برجاوي : المرجع نفسه .

[3] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 319 ، ينظر كذلك : تركي عباس : المرجع السابق ، ص 113.

[4] سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 137.

[5] إبراهيم حليم بك : المصدر السابق ، ص 99.

المبحث الثالث :

نتائج المعركة

أولا / نتائج المعركة على العثمانيين :

تلقى الأسطول العثماني خسارة عظيمة في معركة ليبانت 1571م ، حيث بلغت خسائر العثمانيين أكثر من 30 ألف قتيل و 8 آلاف أسير ، وتحرير 120 ألف أسير مسيحي ، أخذت 130 سفينة و أحرقت وأغرقت 94 سفينة عثمانية ، وفقدان 190 سفينة و 300 مدفعا [1]، أما الكتابات الغربية على غرار بول شام فقد حدد خسائر العثمانيين ب 30000 قتيل و 8000 أسير ، وتحرير 12000 أسير مسيحي ، وفقدان 190 سفينة ، أما ماكسونج فقد ذكر أن عدد القتلى تراوح بين 25 و 30 ألف قتيل ، احتجاز 210 سفينة وتحرير 15000أسير مسيحي ، و3846 أسير [2].

حيث نرى أن أبرز أسباب خسارة الأسطول العثماني ترجع إلى :

- الخلافات بين القادة العثمانيين في المجلس الحربي ، وعدم الأخذ بنصيحة العلج علي باشا الذي يعد من أبرز رياس البحر خبرة وكفاءة في الحروب البحرية ، الذي كان يعلم عبر جواسيسه عن تعداد القوات المسيحية ، بالإضافة للخطة المناسبة للمواجهة .
- كان أغلب الجنود العثمانيين مسلحين بالسيوف والرماح والسهام ، بينما أغلب الجنود المسيحيين مسلحين بأسلحة نارية ودروع حمتهم من ضربات السيوف وسهام الجنود العثمانيين.
- التعب والإنهاك الذي طال الأسطول العثماني جراء كثرة الحروب والمواجهات قبل المعركة [3] .
- وجود السفن الست الضخمة من البندقية التي تعتبر درعا حاميا للسفن المسيحية من القصف المدفعي العثماني [4].

[1] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص 257.

[2] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 419.

[3] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 420 ، ينظر كذلك :سامية مبروك : المرجع السابق ، ص 80.

[4] جون–ب– وولف : المصدر السابق ، ص 89.

ثانيا / نتائج المعركة على المسيحيين

حقق الأسطول المسيحي المتحالف أكبر هزيمة بحرية بالأسطول العثماني في البحر المتوسط، وانتصارا كبيرا للمسيحية وبداية الصليبية الأوروبية في استرجاع أراضيها وكسر وإنهاء السيطرة العثمانية على حوضي البحر الأبيض المتوسط [1].

احتفلت أوروبا بهذا النصر العظيم ، وتم توجيه كل عبارات الشكر للقائد العام للأساطيل المسيحية الدون خوان ، الذي استطاع التخلص من سيطرة العثمانيين على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والتفكير في حملات على الأراضي العثمانية في السواحل المغاربية [2].

رغم تحقيق الدول الأوروبية المسيحية المتحالفة انتصارا عظيما في معركة ليبانت 979هـ / 1571م إلا أنه تعرض لخسائر مادية وبشرية فادحة ، إذ فقدوا أبرز قادتهم ، بربريغو وأورسيني كارفا كردونا و غراسياني و كورنارو ، وسبعة عشر قائدا بندقيا و 60 سفينة من فرسان مالطة ؛ بالإضافة إلى خسارة 12 سفينة و مقتل 7500 مقاتلا [3].

إن النصر الذي حققه الأسطول المسيحي المقدّس على الأسطول الإسلامي دفع البابا بيوس الخامس في إرسال كتابا بتاريخ 16 كانون الأول 1571م إلى حاكم الجمهورية الجنوية يقول فيه : " **نحن لا نشك بأن عدوّنا هذا بالرغم مما أصابه من ضعف لن يبقى مكتوف الأيدي ، فعلى المسيحين أن يعملوا دائما على التمسك باتحاد وثيق لدفع الخطر المداهم والوقوف بوجهه أكثر من كل وقت** " [4].

عمل كذلك على إكتساب تأييد المسلمين الذين هم على خلاف مع العثمانيين بخلفية دينية ، فقد بعث كتاب إلى شاه إيران طهماسب في 16 تشرين الثاني 1571م يقول فيه : "**ليكن بعلمك أن القدر يدعوك بواسطتنا للاشتراك في تقبل النصر بدلا من أتعاب الحرب لأنك لن تجد فرصة مناسبة أو وقتا أفضل من هذا الوقت الذي ستكون فيه قوى العثمانيين مهاجمة من كل ناحية**" [5].

---

[1] أحمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م** ، المرجع السابق ، ص 148.

[2] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص ص 36-37.

[3] سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 137 ، ينظر : نيقولاي ايقانوف : المصدر السابق ، ص 244.

[4] سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 138.

[5] علي حسّون : المرجع السابق ، ص 126.

ثالثا / إعادة بناء الأسطول العثماني :

رغم الهزيمة القاسية التي مني بها الأسطول العثماني في معركة ليبانت 1571م ، وبالنظر إلى الدّور البارز للعلج علي باشا وحنكة وشجاعة وحسن تدبيره في المعركة و إنقاذ السفن العثمانية من الهلاك، جعل السلطان العثماني سليم الثاني يكرم وفادته و استقباله بحفاوة تليق بمقامه وجهوده[1].

حيث عينه السلطان بتاريخ 7 نوفمبر 1571م في رتبة " قبودان باشا " الذي استلم فيه القيادة العامة للأسطول العثماني ، بالإضافة إلى تغيير إسمه من "العلج " وأطلق عليه لقب " القلج علي " التي تعني السيف مع الحفاظ على منصبه حكام على الجزائر وتعيين " أحمد عرب " نائبا له في تسيير شؤون الإيالة [2].

لقد عمد السلطان سليم الثاني إلى القلج علي باشا بإعادة بناء الأسطول العثماني الذي تحطم وفقد قوته وتعداده في المعركة ، وبناءا على أوامر السلطان شرع القلج علي في تجهيز وبناء السفن بمساعدة بيالي باشا ، فقد إستطاع في ظرف وجيز من تجهيز 250 سفينة حربية ، وتم بناء 8 سفن من نوع غالياس ، كما جهز الجنود بالأسلحة النارية وتوفير مدافع وصناعة البارود والبنادق ، كما قام بتجهيز السفن بمختلف التجهيزات الحربية [3].

بعد استكمال بناء الأسطول العثماني وتجيزه بالأسلحة والمدافع تحت قيادة القلج علي باشا ، أمر القبودان بالخروج في عرض البحر الأبيض المتوسط والتوجه للبندقية وغزو الكثير الحصون البندقية [4]، التي قررت عقد معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية سنة 981هـ /7 مارس 1573م ، حيث تعهدت البندقية بموجبها بدفع غرامة حربية قدرها 300 ألف دوكا [5] ، وبالتخلي عن المطالبة بجزيرة قبرص [6].

---

[1] بجوى إبراهيم أفندي : المصدر السابق ، ص 536.

[2] يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 375 ، ينظر : عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 420.

[3] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص ص 37 –38 ، ينظر : عبد القادر فكاير: المرجع السابق ، ص 420.

[4] محمود السيد الدغيم : المرجع السابق ، ص 40 .

[5] **دوكا** : الاسم الذي أطلقه العثمانيون على فلورنسا ، وقيل هو النقد الذهبي المضروب في البندقية قديما ، وهي محرفة لكلمة دوكاتو الإيطالية ، وكان يزن عشرة إلى اثني عشر فرنكا ، ينظر :سهيل صابان : المرجع السابق ، ص 115.

[6] أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق ، ص 283 .

لقد أثارت معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية والبندقية حالة رعبا وخوف في أرجاء أوروبا بعد تنامي قوة الأسطول العثماني ودقت ناقوس الخطر القادم وفقدان السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، فمن خلال زيارة معتمد البندقية لإسطنبول قبل التوقيع على معاهدة الصلح لجس النبض[1]، حيث فاجأه الصدر الأعظم محمد صوقللي باشا حيث قال : " **أأتيت تتفقّد شعورنا وشجاعتنا بعد تلك الفاجعة ؟ فاعلم أننا دونكم خسارة فيها ، لأننا باستيلائنا على قبرص قطعنا أحد سواعدكم . أما أنتم فلم تجزّوا بتدميركم غمارتنا إلاّ لحية ، وإن الساعد المبتور لا ينبت على حين أن اللحية إذا قصّت تعود أكثر كثافة** " [2].

حيث يتضح لنا من خلال ما قاله الصدر الأعظم محمد صوقللي باشا أن خسارة الدولة العثمانية في معركة ليبانت 1571م ، لم تكن إلا كبوة جواد وعثرة سرعان ما تعوض وهذا الذي حصل من خلال إعادة بناء الأسطول العثماني الجديد بقيادة القبودان القلج علي باشا القائد العام للأسطول العثماني وتجهيزه بمختلف الأسلحة والمدافع وبناء السفن الحربية ، الذي استطاع ردّ الاعتبار للأسطول الإسلامي وشن غارات على مختلف الحصون الأوروبية وبث الرعب في أرجاء أوروبا .

رابعا / إلحاق تونس بالدولة العثمانية 1574م :

بعد تفوق الأسطول المسيحي المتحالف على الأسطول العثماني في معركة ليبانت 1571م، وإلحاق هزيمة كبيرة في صفوف الأسطول العثماني وتحطم معظم السفن الحربية وخسارة أبرز قواده ، فقد استثمرت إسبانيا تراجع الدولة العثمانية وسيطرتها على حوضي البحر الأبيض المتوسط ، ووجهت أنظارها إلى منطقة المغربي العربي من أجل الإستيلاء عليها وكسر الهيمنة العثمانية على الشمال الإفريقي [3].

فقد وجهّ ملك الإسباني فيليب الثاني أنظاره إلى تونس نظرا إلى أهميتها الاستراتيجية كقاعدة عسكرية بين الشرق والغرب ، بالإضافة إلى طلب محمد بن الحسن الحفصي المساعدة من الإسبان لاسترجاع ملكه ، فقد استطاع الدون خوان النمساوي الاستيلاء على تونس إثر حملة صليبية في 11 أكتوبر 1573م دون أية مقامة تذكر ، حيث أباح البلاد وانتهك حرماتها وعبث بجامع الزيتونة [4].

---

[1] عباس تركي : المرجع السابق ، ص 114.

[2] سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 139.

[3] أحمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م** ، المرجع السابق ، ص ص 148،149.

[4] عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص ص 38-39 ، ينظر : محمود السيد الدغيم : المرجع السابق ، ص 413.

بعد ذلك غادرها متوجها نحو إيطاليا و ترك بها حامية ضخمة مكوّنة من 8 آلاف مقاتل ، وعين محمد الحفصي أميرا على البلاد ، متعهدا بتقديم المساعدة للإسبان للقضاء على الوجود العثماني وسيطرته على داخل البلاد ، بينما لم تتجاوز السيطرة الإسبانية سوى ضواحي مدينة تونس والمنطقة الشمالية [1].

في ظل الوقع القائم قرر السلطان العثماني سليم الثاني تسخير كل الجهود لفتح تونس من جديد وإنهاء الحكم الإسباني والحفصي المتعاون معه بشكل نهائي ؛ خاصة في حلق الوادي الذي شكل الوجود الإسباني فيه مصدر خطر على العثمانيين في الشمال الإفريقي [2].

من هنا أرسل الباب العالي أوامر سلطانية إلى حكام الإيالات العثمانية في منطقة المغرب لتوجيه حملة بحرية لفتح تونس وتقديم المساعدة للأسطول العثماني [3]، وتعيين القلج علي باشا قائد عاما للأسطول العثماني بينما سنان باشا [4] قائد القوات البرية العثمانية ، حيث تألف الأسطول العثماني من 300 سفينة و 40 سفينة لنقل العتاد والمؤن والأسلحة ، خرج من إسطنبول في 15 ماي 1574م ووصل تونس وبالتحديد إلى حلق الوادي في 13 جويلية من نفس العام ، وفي الوقت نفسه تلقى حاكم تونس سيربيلوني معلومات تأكد تجمع الأسطول العثماني في حلق الوادي، ورغم ضيق الوقت شرع في الاستعدادات لصد الحملة العثمانية [5].

بدأت المواجهة العسكرية بين القوتين العثمانية والإسبانية في 17 جويلية 1574م بمدينة تونس وحلق الوادي ، حيث أمر قائد القوات العثمانية البرية سنان باشا كل من مصطفى باشا وحيدر باشا

---

[1] بجوى إبراهيم أفندي : المصدر السابق ، ص 540 ، ينظر : يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص ص 379،380 .

[2] أحمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م** ، المرجع السابق ، ص 150، ينظر : عباس تركي : المرجع السابق ، ص 115.

[3] محمد ابن أبي دينار الرعيني القيرواني : **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1870،ص 176.

[4] **سنان باشا** : أصله ألباني أسر من طرف القوات العثمانية وأسم بعدها ، تدرج في مناصب السلطة في عهد القانوني لرتبة لواء ملطية وغزة وطرابلس وغيرها من الإيالات ، شارك في حملة طرابلس الغرب وتحريرها سنة 1551م ،كما ساهم في تحرير النهائي لتونس 1574م ، ينظر : تركي عباس : المرجع السابق ، ص 125.

[5] ألفونص روسو : **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** ، تح : محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي – تونس ، 1992 ، ص ص 104-105.

بفرض حصار على مدينة تونس ، حيث تمكنت القوات العثمانية من استرجاع مدينة تونس وانسحاب القوات الإسبانية إلى قلعة البستيون [1].

بعد ذلك ركّز قائد القوات البرية العثمانية القلج علي باشا أنظاره لحلق الوادي ، وقام بشن هجومات عنيفة على القلعة إستخدم فيها المدافع لهدم القلعة ومساعدة الأهالي ، وبعد حرب ضروس دامت أكثر من ستة أسابيع ، تمكن العثمانيين من فتح قلعة حلق الوادي بتاريخ 6 جمادى الأولى 982هـ / 25 أوت 1574م حيث قامت القوات العثمانية من تخريب التحصينات الإسبانية بها[2].

اضطر الإسبان والسلطان الحفصي من الهرب والالتجاء بالحصن البستيون ، حيث شدد سنان باشا الخناق والحصار على الحاميات الإسبانية و انتهت باستسلامها للجيش العثماني ، حيث تم القبض على السلطان الحفصي ، وبذلك تم القضاء على الحكم الحفصي في تونس نهائيا بعد 350 عاما .

بهذا تمكّن العثمانيين من إعادة فتح تونس و القضاء على الحكم الإسباني بها ، وضمها لأملاك الدولة العثمانية وأصبحت إيالة من إيالات العثمانية في منطقة المغرب سنة 982هـ/1574م ، وتم تعيين حيدر باشا واليا عليها [3].

[1] تركي عباس : المرجع السابق ، ص 115، ينظر : عبير بن نذير ، خديجة قباني : المرجع السابق ، ص 40.

[2] بجوى إبراهيم أفندي : المرجع السابق ، ص 541 ، ينظر : نيقولاي ايقانوف : المصدر السابق ، ص ص 254 ، 255.

[3] أحمد سالم : المرجع السابق ، ص 151 ، ينظر : يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 381.

نتائج الفصل :

من خلال ما سبق توصلنا إلى النتائج التالية :

- شكل الفتح العثماني لجزيرة قبرص 978هـ / 1570م السبب المباشر والرئيسي لمعركة ليبانت1571م.
- مثل التفوق العثماني وسيطرته على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وتوسعاتها مصدر خطر على القوى الأوروبية وأهدافها ، مما حتّم عليها عقد تحالف مسيحي لمواجهة الأسطول العثماني.
- الدور البارز لبابا بيوس الخامس وجهوده في توحيد القوى الأوروبية المسيحية .
- يعد انتصار القوى الأوروبية المسيحية المتحالفة في معركة ليبانت على الأسطول العثماني ضربة موجعة في كسر الزحف العثماني وطموحاته التوسعية في أوروبا .
- اعتبار تفوق القوى المسيحية في معركة ليبانت 1571م بمثابة الثأر من العثمانيين الذين إستولو على جزيرة قبرص وضمها إلى أملاكهم 978هـ / 1570م .
- تراجع التفوق العثماني في البحر الأبيض المتوسط حفزّ الدون خوان النمساوي في توجيه حملة للاستيلاء على تونس 1573م .
- دور قلج علي باشا في إنقاذ الأسطول العثماني من الدمار النهائي ومساهمته في إعادة بنائه وتعيينه قائدا عاما للقوات البحرية .
- شكل استرجاع تونس 982هـ / 1574م وضمها لأملاك الدولة العثمانية انتقاما لخسارة العثمانيين وقضائهم النهائي لطموح الإسبان للسيطرة على شمال إفريقيا .
- اعتبار تفوق القوى المسيحية في معركة ليبانت 1571م بمثابة الثأر من العثمانيين الذين إستولو على جزيرة قبرص وضمها إلى أملاكهم 978هـ / 1570م .
- مثلت معركة ليبانت منعرجا حاسما في تغيير موازين القوى في الحوض المتوسط وسمحت في إزالة مخاوف الدول الأوروبية من البحرية العثمانية ونفوذها في المنطقة .
- تعتبر معركة ليبانت من أعظم المعارك التي شهدها البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، فقد أجمع الكثيرون أنها بداية العد التنازلي للقوة العثمانية.

الفصل الثاني

معركة وادي المخازن 1578م

الأسباب – المجريات – النتائج

المبحث الأول: الأسباب

المبحث الثاني: المجريات

المبحث الثالث: النتائج

تمهيد :

شهد الثلث الأخير من القرن 10هـ / 16 م صدامات ومعارك كبرى في بلاد المغارب وبالتحديد الدولة السعدية و من أهمها معركة وادي المخازن (القصر الكبير) أو (معركة الملوك الثلاثة) 986هـ / 1578م ، إذ تعد من الحملات المسيحية الصليبية على العالم الإسلامي على وجه العموم و الدولة السعدية على وجه الخصوص .

حيث شهدت المعركة مواجهة عسكرية حول إعتلاء العرش السعدي بقيادة السلطان عبد الملك المعتصم بالله الوريث الشرعي للبيت السعدى بدعم العثمانيين ، وابن أخيه محمد المتوكل

(المسلوخ) المستنجد بالجيش البرتغالي بقيادة الملك الشاب الضون سيبستيان الذي إستغل الصراع حول عرش الدولة السعدية لتنفيذ مخططاته و غزو المغرب والتخلص من الخطر العثماني المسيطر على الساحل المغاربي وإسترجاع شواطئ شمال إفريقيا والثغور الإستراتيجية الهامة .

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية :

- ما أبرز أسباب معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م ؟
- ما أهم مجرياتها ؟
- ما أبرز نتائج و انعكاسات معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م على الدولة السعدية و الدولة البرتغالية ؟

المبحث الأول :

الأسباب

أولا / إنهزام العثمانيين في معركة ليبانت 979هـ /1571م :

تعتبر معركة ليبانت 979هـ / 1571م من أبرز معارك القرن السادس عشر ، نتج عنها صراعات سياسية وعسكرية بين العثمانيين من جهة ، و بين الدول الأوروبية المتحالفة في حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي ، حيث كانت نتيجة أحداث تراكمية ونزاعات متواصلة بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية .

مني العثمانيون بهزيمة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط ، واعتبر الإنتصار الذي حققته الدول الأوروبية المتحالفة بمثابة إنتصارا للمسيحية ، و بداية الحملات الأوروبية المسيحية على الأراضي العثمانية في البحر الأبيض المتوسط ، و إنهاء السيطرة العثمانية على منطقة المغارب [1].

ظهر ذلك جليا في إستغلال الإنتصار الذي حققته الدول الأوروبية في معركة ليبانت 1571م ، فقد سعت البرتغال في الإستثمار في النصر المحقق وشن حملات على المغرب و الساحل الإفريقي في إطار حروب الإسترداد [2] .

ثانيا / الضّائقة الإقتصادية للبرتغال :

وقعت المملكة البرتغالية في أزمة إقتصادية لم تستطع المحافظة على ممتلكاتها الواسعة نتيجة تراجعها المستمر في مجال التوسع الجغرافي ، حيث وصلت إلى حالة المحافظة فقط على ما تبقى من المستعمرات البرتغالية ومن بينها المغربية ذلك راجع إلى النظام الاستعماري البرتغالي والصراع المستمر بينهم وبين العثمانيين وحتى الهولنديين تدخلوا في شؤون مستعمراتهم .

كما أن الحرب التي خاضتها البرتغال استنزفت جل موارد خزينتها ما جعلها توجه أنظارها صوب المغرب بانتهازها لكل الفرص المتاحة لها.

---

[1] أحمد سالم : **إستراتيجية الفتح العثماني** ، المرجع السابق ، ص 270.

[2] جلول بن قومار : **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال – إسبانيا – فرنسا (986هـ – 1578م / 1012هـ – 1603م)** ، ط1 ، تق : صالح بوسليم ، مطبعة شريف . م ، غرداية – الجزائر ، 2022، ص 53.

ثالثا / تحرشات الضون سيبستيان بالمغرب الأقصى قبل معركة وادي المخازن 986هـ/1578م :

تولى "الضون سيبستيان " [1] عرش الإمبراطورية البرتغال سنة 975هـ / 1568م ، وباشر تحضيراته واستعداداته العسكرية لشن حملة مقدسة ضد المسلمين ، مستفيدا بما حققه البرتغاليين من كشوف جغرافية جديدة لتطويق العالم الإسلامي بدافع الحقد الصليبي والعقلية الاستعمارية ، حيث خطط لغزو المغرب و بالتحديد طنجة ، فلما سمع بها السلطان المغربي عبد الله الغالب [2] بدأ بإتخاذ التدابير الأمنية والإحتياطات الحربية للتصدي للحملة العسكرية [3].

فالملك الشاب (سيبستيان) كان يملك من الحماس والحقد على الإسلام وأهله عموما ، وعلى المغرب بشكل خاص ، وبدافع من الفكر المتعصب الذي يعتمد على الغزو والسلب والنهب ، و الذي يرى أنه يده مطلق في كل الأراضي العربية المسلمة التي لا تقوى على الدفاع عن أراضيها من التحرشات الخارجية لذلك خطط بغزو بلاد المغرب (الدولة السعدية) [4].

حيث لقي خبر الحملة ردود أفعال و إرتباك لدى الشعب البرتغالي ، نظرا لأن الملك المتوج الجديد على عرش البرتغال لم تكن له الخبرة والدراية الكافيتين لشن حملات عسكرية ؛ حيث حاول

---

[1] **الضون سيبستيان** : ملك البرتغال تولي الحكم سنة 1568م ، عرف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين وتعصبه للمسيحية وبمشاريعه لإستيلاء على المغرب و استعادة أمجاد الامبراطورية البرتغالية في المغرب بعد الهزائم التي منيت بها البرتغال على يد السعديين ، قام بحملات عسكرية صليبية على أصيلا والعرائش سنة 982هـ / 1574م ؛ توفي في معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م ، ينظر : أبي فارس عبد العزيز الفشتالي : **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح : عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ، الرباط – المملكة المغربية ، د.ت ، ص 26.

[2] **عبد الله الغالب** : هو المولى عبد الله غالب بالله رابع ملوك الدولة السعدية تولى عرش السعديين بعد إغتيال والده المولى محمد الشيخ من قبل الأتراك العثمانيين يوم الأربعاء 27 ذي الحجة عام 964هـ الموافق 23 أكتوبر 1557م ، وقد تميز عهده بالتقارب القوى الذي حصل بين المغرب ودول غرب أوروبا ، وذلك لمقاومة الخطر العثماني وصد الهجوم التركي على المغرب ، توفي سنة 982هـ / 1574م ، ينظر : أبي فارس عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق ، ص 28.

[3] دييغو دي طوريس : **تاريخ الشرفاء** ، تع : محمّد حجّي ، محمّد الأخضر ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 1988 ، ص 234.

[4] شوقي أبو خليل : **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير** ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، 1988، ص 46.

الأعيان والنبلاء والقادة العسكريين إقناعه بالعدول عن قرار إعلان الحملة العسكرية على بلاد المغرب؛ ونتائجها الخطيرة على البرتغال من النواحي السياسية ، العسكرية ، الاقتصادية [1] .

إلا أن الملك الشاب لم ينصت لنصائحهم وتوجيهاتهم ؛ وتمسك بفكرة غزوه لبلاد المغرب الأقصى بدافع الحقد الصليبي على بلاد المسلمين ؛ إضافة إلى وفاة السلطان المغربي " عبد الله غالب" سنة 982هـ / 1574م وتولي إبنه " محمد المتوكل " [2] عرش السعديين[3] ، وتوتر الأوضاع الداخلية في بلاد المغرب الأقصى ؛ دفعت الملك الشاب إلى إستغلال الظروف المضطربة لتنفيذ حملته الصليبية على بلاد المغرب [4].

حيث شنّ الملك حملة عسكرية في 17 أوت سنة 982هـ / 1574م على أصيلا والعرائش توغل بجيش تعداده ألف مقاتل لقتال المسلمين متيقنا بنصره على السعديين ؛ فوصلت مسامع أخباره إلى السلطان السعدي " محمد المتوكل " فكلّف قبيلة غماره [5] للتصدي لحملته ، فوقعت إشتباكات

---

[1] سمير عبد الرسول العبيدي : **واقعة وادي المخازن 1578**، مركز المستنصرية للدراسات العربية الدولية / قسم الدراسات التاريخية ، م 10 ، ع 37 ، 2019/09/18، ص 298 .

[2] **محمد المتوكل** : عبد الله محمد المتوكل أبن محمد عبد الله الغالب ، تولى عرش السعديين بعد وفاة أبيه سنة 1574م ، خاض عدة حروب ضد عمه عبد الملك السعدي ، إستنجد بملك البرتغال الضون سيبستيان لإستعادة عرشه وشارك معه في معركة وادي المخازن 986هـ/1578م ، مات غرقا في نهر المخازن وقد أمر أحمد المنصور بسلخ جلده وحشوه تبنا بعد موته ليطلق عليه أسم المسلوخ ، ينظر : عبد الكريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السّعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية** ، ط1 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط – المملكة المغربية ، 2006 ، ص 290.

[3] **السعديين** : إختلفت الروايات في نسبهم ، قيل أنهم من بني سعد بن هزان الذي تنتمي إليه حليمة السعدية مربية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقيل إنهما لقبّهم العامة بالسعديين لأنهم سعدوا بدولتهم ، وقيل أيضا إنهم من ولد نفس الزكية فهم في هذه الحالة أبناء عم العلويين يجتمعون في محمد بن القاسم بن محمد ، ينظر : إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ** ، م 2 ، ط 1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء – المملكة المغربية ، 1978، ص ص 272 ، 273.

[4] المجهول : **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية** ، ط1 ، تق و تح : عبد الرحمان بنحادة ، دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش – المغرب ، 1994 ، ص 42 .

[5] **قبيلة غماره** : إحدى قبائل البربر بشمال المغرب فرع من القبيلة الكبرى " مصمودة " ، تفرعت إلى قبائل عديدة تعرف بقبائل جباله، وتوجد فروع منها تحت اسم غماره ، ينظر : جلول بن قومار : **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال – إسبانيا – فرنسا (986هـ–1578م / 1012هـ–1603م)** ، مذكرة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث ، إشراف : عمار بن خروف ، غرداية – الجزائر ، 2010-2011،ص67.

عنيفة بين الطرفين في موقعة الرملة " أبي غاص " ، حيث فشل الملك البرتغالي في حملته ؛ إلا أنه بقي متشبثا بأهدافه بالإستلاء على بلاد المغرب [1].

رابعا / التفاهم السري بين الملك فليب الثاني و سيبستيان :

سعى ملك البرتغال لشنّ حملة عسكرية بتحريض الكنيسية وتوجيها للإستيلاء على المغرب والسيطرة على ميناء العرائش ؛ حيث حذّر الملك فليب الثاني من تواجد الجيش العثماني بفاس الذين قدموا الدعم العسكري للسلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي[2] الذي تولى عرش الدولة السعدية 984هـ/ 1574م ، بعد تحقيق إنتصارا عظيما على إبن أخيه محمد المتوكل ليعود الجيش العثماني إلى الجزائر، وحصوله على قواعد حربية لمهاجمة الموانئ الإسبانية والبرتغالية [3].

فقد إتجه السفير البرتغالي إلى مدريد لطلب العون والمساعدة من سلاح و ذخيرة ومؤن ، لأن الملك البرتغالي لم يكن يمتلك القوة العسكرية الكافية لتنفيذ أهدافه ، حيث إتفق مع الملك فليب الثاني في 22 ديسمبر 1576م بمدينة استرامدورا قرب مدريد ، الذي إشترط الإكتفاء بالإستيلاء على العرائش ؛ فأمده ب 50 سفينة و 5 آلاف جندي ومشاركته بثلث النفقات [4] .

خامسا / إستنجاد محمد المتوكل بالملك سيبستيان :

توجه " محمد المتوكل " بعد خسارته لعرش الدولة السعدية وإستنجد بملك إسبانيا " فليب الثاني" لتقديم المساعدة والتدخل في شؤون الدولة السعدية لاستعادة عرشه المسلوب ؛ لكن الملك فليب الثاني تجاهل مد يد العون إليه ؛ نتيجة إنشغاله بالحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج 5 ، تح : جعفر الناصري ، محمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء – المغرب ، 1955 ، ص 58.

[2] **عبد الملك المعتصم بالله السعدي** : أبو مروان عبد الملك ن أبي عبد الله الشيخ السعدي ، أقام بسجلماسة ، تولي عرش الدولة السعدية في 984 هـ/ 1574م ؛ بعض الإنتصار على " محمد المتوكل " بمساعدة العثمانيين في الجزائر، عرفت الدولة السعدية في حكمه عدة إصلاحات في مختلف المجالات ، قاد الجيش المغربي في معركة وادي المخازن986هـ / 1578م وتوفي فيها، ينظر : عبد الفتاح مقلد الغنيمي : **موسوعة تاريخ المغرب العربي** ، ج6 ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة – مصر ، 1994، ص ص 165 – 172.

[3] عبد الهادي التازي : **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ، م 8 ، مطابع فضالة ، المحمدية – المغرب ، 1988 ، ص 44 .

[4] عزيز سامج إلتر : **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، ط1، تر : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، 1989 ، ص ص 255 ، 256.

غرب أوروبا وحروبه الداخلية ضد مسلمي الأندلس ، وإقترح عليه الإستنجاد بإبن أخته ملك البرتغال الضون سيبستيان الذي كان يتحين الفرصة للإنقضاض على بلاد المغرب [1].

لجأ " محمد المتوكل " الذي إنهزم على يد عمه السلطان " عبد الملك السعدي " إلى ملك البرتغال" الضون سيبستيان " وطلب منه المساعدة لإسترجاع عرشه وإزاحة عمه من حكم المغرب مقابل أن يتنازل له عن جميع السّواحل المغربية ، فقبل الملك البرتغالي بعرضه ، الذي يعد فرصة مناسبة لطالما إنتظرها لتحقيق أهدافه بإعلان الحرب و توجيه حملته الصليبية التي حضر لها منذ توليه عرش المملكة البرتغالية للاستيلاء على بلاد المغرب [2].

إن تمادى ملك البرتغال في خطته الرامية إلى غزو المغرب بدعوى مساعدة محمد المتوكل وحرصه على إغتنام هذه الفرصة ، جعل فليب الثاني الذي كان منشغلا بالشأن الأوروبي يبعث إلى لشبونة عدة سفارات ليحذره من مغبة أعماله ، لاسيما أن السلطان عبد الملك السعدي كان قد تقدم بشروع المعاهدات المغربية – الإسبانية التي مازالت قيد الدراسة في البلاط الإسباني ؛ ومن السفارات التي أرسلها فليب الثاني إلى لشبونة دون خوان دي سلبا Don Juan de Silba ثم دون لويس دي سلبا Don Luis de Silba وبعث إليه أيضا سفيرا فوق العادة في مارس 986هـ / 1578م ، لكن هذه المحاولات جميعها وما سبقها باءت بالإخفاق لإصرار ملك البرتغال المتعصب الطموح على إغتنام الفرصة الراهنة للتدخل في المغرب و استعادة نفوذ البرتغال في تلك البلاد، لتبدأ بذلك ملامح الصدام العسكري بين الدولة السعدية و الدولة البرتغالية تمثلت في معركة وادي المخازن[3] سنة 986هـ / 1578م ؛ وبداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب والدولة السعدية [4].

---

[1] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني : **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، تر : هوداس ، باريس – فرنسا ، 1888، ص 65 .

[2] عبد الكريم كريّم : المرجع السابق ، ص ص 98- 104 .

[3] **وادي المخازن** : هو فرع من نهر اللكوس الذي يصب قرب العرائش ، ينظر :إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 294.

[4] نفسه .

المبحث الثاني :

المجريات

أولا / سير الجيش البرتغالي نحو المغرب

غادرت السفن البرتغالية في اليوم الرابع العشرين من جوان عام 1578م من لشبونة ، فأقامت في "بلاكوس " بضعة أيام ، ثم إتجهت إلى " قادس " أسبوعا وأرست في طنجة في اليوم السادس من جويلية ، حيث مكث بها الملك الدون سبستيان وحاشيته ، فوجد في استقباله صنيعة الصليبية محمد المتوكل ، ثم إتجه الجيش البرتغالي إلى أصيلا التي وصلها في 12 جويلية ، التي كانوا قد وضعوا إيديهم عليها في جويلية 1578م بعد أن تنازل لهم عنها المتوكل قبل إبعاده من المغرب لتصلها في جمادى الأول سنة 986هـ/ 1578م [1].

لم يقم سبستيان في طنجة إلا يوما واحدا ، حتى التحق بجيشه في اليوم العاشر من نفس الشهر فقد بقيت القوات البرتغالية معسكرة بضواحي أصيلا إلى اليوم الثامن و العشرين من جويلية حيث كان عبد الملك في هذه الآونة قد عسكر " بسوق الخميس " على بعد ستة أميال جنوب وادي القصر الكبير ، بعدما وصلت إليه تقارير من عيونه في أرض العدو ، تطلعه بتحركات الجيش البرتغالي، وبكل ما يدور في القيادة ، وأتاحت له وللجيش المغربي ليكمل استعداداته [2].

ثانيا / الإستعدادات البرتغالية :

قاد الملك البرتغالي قوات جرارة بلغ تعدادها نحو عشرين الف محارب وأرست جميع قطع الاسطول بمدينة أصيلا التي اتخذت نقطة انطلاق لغزو المغرب ، فقد كان وصول القوات المهاجمة يوم الاثنين 12 يوليو 1578م حيث عسكرت بضواحي مدينة اصيلا ، علاوة على قوات المتوكل التي كانت تقدر بنحو خمسمائة فارس [3].

---

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 72، ينظر : سمير عبد الرسول العبيدي ، المرجع السابق ، ص 298.

[2] عبد الكريم كريّم : المرجع السابق ، ص 105.

[3] نفسه

أما المجهول فذكر أنهم خرجوا في ستين ألفا ، وبقي في العمارة نحو عشرين ألفا وأخرجوا من الأنفاض مائتين ومن القراريط عشرين ألفا [1] .

في حين ذكر الأفراني أن تعداد الجيش البرتغالي الذي قصد هلاك المغرب والمسلمين أنه زهاء مائة ألف خمسة وعشرون ألف مقاتل[2] ، أما بالنسبة للمصادر الأجنبية فذكرت أن تعداد الجيش البرتغالي بلغت ثمانين ألف مقاتل [3] ، منها عشرين ألف جندي إسباني ، خمسمئة ألف جندي برتغالي عند نزوله بطنجة ، إثني عشر ألف جندي إيطالي ، أربعة آلاف جندي بابوي بعث بهم بابا الفاتيكان ، بالإضافة إلى ألف وخمسئة من الخيل واثني عشر مدفعا ونحو ألف سفينة حربية [4].

نقلا عن محمد علي الصلابي ذكر أن الجيش البرتغالي تكون من حوالي 125.000مقاتل ، بما في ذلك المعدات الحربية ، وقال أن المصادر الأوروبية تقلل عدد الجيش البرتغالي بعد هزيمته ، في مقابل تضخم عدد الجيش المغربي ، فذكرت عن حوالي 14.000 مقاتل ، 2000 فارس ، 36 مدفعا .

أما مقابلها في الجيش المغربي 50.000 و 22.000 مقاتل ، وحوالي 1.500 من الرماة ، 20 مدفعا [5].

نقلا عن هنري دوكاستري Henry DE CASTRIES يذكر أن تعداد الجيش البرتغالي كان كبيرا بلغ حوالي ألف سفينة ما بين كبيرة وصغيرة و 35 ألف مقاتل بدون المغامرين المتطوعين الذين بلغت اعدادهم بأكثر من 10 آلاف مقاتل ، 70 مدفعا ، 3–4 آلاف حصان ،

---

[1] المجهول : المصدر السابق ، ص 58.

[2] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني ، المصدر السابق ، ص 73.

[3] Ernest Charrière : **Négociations de la France dans levant** , imprimerie impériale, paris, t3 , p722.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص 178.

[5] موسى المودن : " **معركة وادي المخازن بالقصر الكبير – معركة المصير –** " ، في مجلة ليسكوس ، ع 35، أكتوبر – 2020 ، ص 50 .

لدرجة القول أنه: **"كان لديه واحد من أفضل الجيوش التي لم يتم الحديث عن مثلها منذ وقت طويل "** [1].

بقيت قوات الحملة البرتغالية بضواحي أصيلا ما بين 12 و 28 يوليه 1578م حيث كان المعتصم في هذه الآونة قد عسكر بسوق الخميس على بعد ستة أميال جنوبي وادي القصر الكبير[2] ، وبديهي ان الغاية التي كان يهدف إليها المولى عبد الملك هي التدرج بالحملة البرتغالية و الابتعاد بها من قواعدها ومراكز تموينها ليسهل القضاء عليها ؛ وقامت القوات البرتغالية بالفعل بالزحف نحو الداخل يوم الثلاثاء 29 يوليه وعسكرت أخيرا على الضفة اليسرى لوادي المخازن يوم الأحد الثالث من أوت 986هـ / 1578 م [3].

ثالثا / الإستعدادات المغربية :

تختلف المصادر العربية والأجنبية اختلافا كثيرا حول عدد قوات الجيش السعدي ، حيث كان يتراوح ما بين أربعين ألف ومائة وعشرة آلاف مجاهد ، يملكون تفوقا في الخيل ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف فارس ، أما المدافع فكان عددها ما بين عشرين وأربع وثلاثين ومعنوياتهم كانت عالية جدا لسببين :

الأول : أنهم ذاقوا حلاوة الانتصار على أعدائهم البرتغاليين المحتلين عندما انتزعوا منهم ثغورا ، كانت محاطة بسياج من الأسوار العالية ، و الخنادق العميقة و الحصون المنيعة .

ثانيا : يعلمون أن نتيجة المعركة هذه ، يتوقف عليها مصير كلها ، ف " سبستيان " ومن معه يمثلون حركة توسع على حساب الإسلام وأراضيه ، وذكرى سقوط غرناطة وضياع الأندلس أرضا وسكانا حادثة لم تنسى بعد ، إنها ماثلة قبالة الشعب كله بلا استثناء ، إختار عبد الملك المعتصم بالله القصر الكبير مقرا لقيادته ، وخصص من يراقب تحركات " سبستيان " وجيشه بدقة ، وحسب الخطة التي رسمها عبد الملك للمعركة ، ومن ضمنها أن وادي المخازن لا معبر له سوى هذه القنطرة حيث

---

[1] زين العابدين زريوح : " **ذاكرة وادي المخازن 1578م بين المصادر المحلية و الأجنبية** "، في مجلة رؤى التاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، م 1 ، ع 1 ، 2020/06/28 ، ص 15، ينظر:

Henry DE CASTRIES: Les sources Inédites de Maroc, 1ère série Dynastie Saadienne, Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome I, Ernest Leroux, Paris, 1918, p. 300-301.

[2] **القصر الكبير** : هذه المدينة التي معناها باللغة العربية القصر العظيم أسسها رابع ملوك الموحدين ، سميت بالقصر لتمييزه عن القصر الصغير ، ينظر : مارمول كربخال : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 190 ، 191.

[3] المجهول : المصدر السابق ، ص 61 .

وجه إليها كتيبة من الخيل بقيادة اخيه أحمد فهدمها ، فعزل الجيش البرتغالي وسدت عنه منافذ النجاة و إمكانية التراجع للوراء[1].

هناك تقديرات قدّرت الجيش المغربي بأربعة عشر ألف فارس و ألفين وخمسمائة من المشاة المسلحين بالبنادق ، هذا بالإضافة إلى جيش أخيه أحمد المنصور السعدي [2] حاكم فاس المكوّن من 22 ألف فارس و 5000 جندي مشاة مسلح بالبنادق .

وقد ذكرت مصادر أخرى أن 80 فارسا ، 6000 جندي مشاة تركي ، 2000 محارب زواوي مع اثني عشر مدفعا إنضموا إلى قوات السلطان عبد الملك السعدي [3].

حيث كتب المولى عبد الملك السعدي رسالة إلى الضون سيبستيان بعد نزوله بأصيلا يقول فيها: **" إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك في البحر إلى عدوة المسلمين فإن أنت ثبت في الساحل إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع ، وإن أنت رجعت إلى بلادك وحقرت بعض الرعية قبل أن يقاتلك أمير مثلك فأنت يهودي بن يهودي "** [4] .

عندما إستلم سيبستيان الرسالة استشاط غضبا وأمر جيشه بالتوجه نحو وادي المخازن ، وهو المكان الذي كان عبد الملك المعتصم بالله السعدي أن يلاقي عدوه فيه ليحصره بين الأنهار وبين قوة جيشه، هكذا وقع سيبستيان في الفخ [5] ، حيث أرسل السلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي ثلة من قواته ليلا على رأسها أخيه أحمد المنصور بغلت أربعة آلاف فارس [6] لهدم الجسر الوحيد القائم

---

[1] سعيد أعراب : " **موقعة وادي المخازن وانحدار الصليبية بالمغرب** " ، في مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ع 8 ، 1978، ص 92 .

[2] **أحمد المنصور السعدي** : بويع أحمد المنصور بوادي المخازن سنة 986هـ/ 1578م ، ثم تجددت بيعته بفاس ، وفي فترة حكمه إهتم المنصور بتنظيم الجيش وبنى قصر البديع الأعظم في عهد السعديين ، قاد حملة على بلاد السودان الغربي سنة 1591م ،كما أطلق عليه لقب أحمد المنصور (الذهبي) ، توفي سنة 1603م ، ينظر : محمد الأمين محمد ، محمد علي الرحماني : **المفيد في تاريخ المغرب** ، دار الكتاب ، الدار البيضاء – المملكة المغربية ، د.ت ، ص 198.

[3] فالح حنظل : **العرب والبرتغال في التاريخ** ، ط 1 ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي – الإمارات المتحدة ، 1997، ص ص 457 ، 458.

[4] المجهول : المصدر السابق ، ص 60.

[5] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 462.

[6] المجهول : المصدر نفسه .

على وادي المخازن الذي عبر عليه الأعداء قبل ذلك إلى الضفة الأخرى لقتاله ، حيث أنهم غفلوا عن تأمينه مما قطع عليهم خط الرجعة ، فكان سببا للهزيمة الساحقة [1].

رابعا : المجلس الحربي للدون سيبستيان

عقد سيبستيان اجتماعا نهائيا بعد وصوله لوادي المخازن بمدينة القصر الكبير مع أركان حربه الذين نصحوه بعدم عبور نهر وادي المخازن بل التحصن خلفه وجر جيوش المغربية إليه ، إلا أنه لم يستمع لنصائحهم ، لأنه كان يحلم بأن يكون الراهب الفارس الذي يضرب أعداء المسيح وإبادة الإسلام والمسلمين [2].

نزل الجيش البرتغالي يوم الأحد الثالث من اوت على محاذاة الضفة اليمنى لنهر المخازن ، واجتاز مجرى الماء بلا عائق ، فاصطدم بالمنحدرات الوعرة فعاد أدراجه ليقيم المخيم على الضفة اليسرى من وادي المخازن ، غير بعيد من نهر " اللوكس " وقرر سيبستيان جمع مجلسه لمناقشة أمر المعركة وميدانها للمرة الأخيرة ، وأخبر القائدان " جوادو كاستيلهو " و " دييغو دو بالما " الملك أن جيش المعتصم يزيد عدده عن سبعين ألف رجل ، وأنه مشهور بذكائه وحنكته العسكرية قد جند وحدات قتالية جيدة التدريب و التسليح ، فقاطعهما الملك وأظهر لهما الغضب الشديد .

طلب " دوق آفيرو " ، ودون " فرانشيسكو دوما سكار ينهاس " ، و الكونت " دو فيميو سو " من الملك أن يتجنب كل تهور ، وألا يتعرض إلى الأرض المكشوفة ، وقد وافق محمد المتوكل رأيهما حتى يسهل الانسحاب في حالة الهزيمة ، كما نصحه ألا يخوض معركة الغد إلا في آخر النهار – عندما تنخفض الحرارة في المساء – ليتفادى تعريض المسيحين للحرارة الشديدة في الهاجرة ، انتهى المجلس بدون رأي قاطع ، لأن الملك نذر حياته "كفارس راهب " لضرب أعداء المسيح .[3]

خامسا : الوضعية القتالية للجيشين

أمر السلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي شقيقه أبا العباس أحمد المنصور بإتخاذ ترتيب على شكل هلال كان في وسطه ، في حين كانت الخيالة على الجناحين والمشاة في الوسط تغطيها

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص ص 72 ، 73 .
[2] فالح حنضل : المرجع السابق ، ص 464 .
[3] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص ص 71 ، 72.

المدفعية من الخلف وإتخذ مواضع تسهل المناورة والحركة ، أما المهاجمون فانتظموا على شكل مربع في مقدمته البرتغاليون ، وفي اليمين الألمان وفي اليسار المتطوعون الإسبان والإيطاليون وعلى الجناحين الخيالة وأنصار محمد المتوكل [1].

ففي الجناح الأيمن للجيش المغربي كان الأمير بن المعتصم مع ألف فارس مسلحين بالبنادق وعشرة آلاف آخرين مسلحين بأسلحة أخرى ، وهو بمكانه هناك كان يواجه الوحدات التي يقودها القادة (دورات دي منزيس) و (دون آفيرو) ، أما القائد المغربي محمد زاركو فقد كان على رأس ألفي فارس مسلحين بالبنادق وعشرة آلاف آخرين من المشاة ويقف في الجناح الأيمن حيث يقف بمواجهة القطعات التي كان الملك سيبستيان يقودها بنفسه ، أما الكتائب المغربية من حملة الرماح فقد كانت في الوسط ، كما كانت كتائب الفرسان المغربية تكمن في الجبال المحيطة ، حيث إن أوامر عبد الملك المعتصم بالله إليها كانت عدم التورط بالقتال في مراحله الاولى بل جلب العدو إلى داخل الهلال ثم الإطباق عليه [2].

تجدر الإشارة أنه قبل لحظات من انطلاق المعركة صبيحة يوم الاثنين من أوت 1578م إشتد المرض على السلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي ، حيث قيل أنه دس إليه المتوكل أو الأتراك من سمه حيث قيل أنه من تدبير القائد العلج رضوان الذي كان في حاشية المعتصم [3] .

وقد أشار صاحب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي نقلا عن ابن القاضي بخصوص مرض السلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي في قوله :" **قال ابن القاضي كان سبب وفاة عبد الملك أنه سقى سماً وذلك أن قائد الأتراك الذي كان معه واسمه رضوان العلج بعث لبعض قوّاده ان يتلقاهم بكعك مسموم هدّية لعبد الملك وقت جوازهم عليه قصد بذلك قتله بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت لهم الملك فيها فلم يكمل الله مرادهم لما شاهدوا عظيم جيش المغرب وكثرته فكان ذلك سبب موته**" [4] .

---

[1] سمير عبد الرسول العبيدي ، المرجع السابق ، ص ص 302 ، 303 .

[2] فالح حنضل : المرجع السابق ، ص ص 464 ، 465 ، ينظر : أبي فارس عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق ، ص 41.

[3] إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 293 ، **ينظر للملحق رقم 03**.

[4] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني ، المصدر السابق ، ص 77.

سادسا / إندلاع المعركة

صباح الاثنين 30 جمادى الاخرة 986هـ / 4 أوت 1578م ،كان ذلك اليوم المشهود في تاريخ المغرب ، ويوما خالدا في تاريخ الإسلام وقف فيه السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبا في جيشه مذكرا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر ،كما ذكر بوجوب الثبات وبضرورة النظام وذكر أيضا بحقيقة لا مراء فيها : " **ان انتصرت الصليبية اليوم، فلن تقوم للإسلام بعدها قائمة** " [1].

رفع سيبستيان سيفه ونادى : " **هيا يا أولادي ... هيا أيها الفرسان ... سانتياغو .. لنهاجمهم فليس هناك إلا الرعاع** " ، بهذه الكلمات بدأت معركة وادي المخازن أو معركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة عند ظهر نهار الاثنين 4 أوت 986هـ / 1578م [2] .

هاجم سيبستيان على رأس فرسانه قوات الأمير محمد وعلى إثر ذلك قامت المدفعية المغربية بصب قذائفها على وحدات العدو فأحدثت ارتباكا عندهم ، وأثناء ذلك هاجم (دورات دي منزيس) و (دون أفيرو) ووحدات محمد المتوكل ، الوحدات المغربية التي يقودها محمد زاركو حيث أنزلوا بها خسائر فادحة أجبرتها على الانسحاب ، وفقد محمد زاركو اثنين من القادة الخمسة للجيش المغربي كما أظهر الإيطاليون و الاسبان تقدما ملموسا ، فيما لجأت بعض الوحدات المغربية إلى الفرار في الوقت الذي دفع سيبستيان بجنود آخرين في المقدمة .

لما لاحظ السلطان عبد الملك الذي كان يتمايل من الإعياء ذلك الانكسار هرع إلى جواده ليقود هجوما معاكسا وصعد إلى ظهر الحصان وقد أخذته رجفة متشنجة ، واندفع في حمية وسط الفارين ، إيمانا بأن وجوده بينهم سيتوقف تقهقرهم ، وعندما عاد كان في الرمق و النزع الاخير خانته قدماه وذراعاه وهو يحاول النزول من السيف ورفع رأسه وهو يعاني الغصة وتطلع إلى السماء رافعا نحوها صبعه السبابة وتمتم بشهادة الإيمان [3] ، وكأنه يشير إلى كتم سره وإخفاء موته ، حتى لا يؤثر ذلك على معنويات الجيش وسير المعركة .

---

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص ص 63 ، 64 ، **ينظر للملحق رقم 04**.

[2] فالح حنضل : المرجع السابق ، ص 465.

[3] فالح حنضل : المرجع السابق ، ص 465.

قد ذكر في هذا الصدد صاحب تاريخ الدولة السعدية ما نصه : " ... **ولمآ اشتد مرض السلطان جعلوه في جحفة على رؤوس الناس ، يصلح أحوال الصفوف ويحرض الناس ويشير إليهم بيده ، وأمرهم أن يحذروا أفواه الأنفاض و أرسل أخاه مولاي أحمد إلى ملاقاة الخيل وقد كشف رأسه ، وترجل وأبدى وأعاد وأبلى بلاء حسنا مع المسلمين وطال القتال ، وكان القائد الطائع لمآ اشتد الأمر بالسلطان وخرجت روحه ، والناس يقاتلون لم يظهر موته لاحد ، خوف افتراق كلمة المسلمين ... ويطلب الماء يوهمهم ان السلطان أراد أن يشرب ثمّ يهرقه معه في الجحفة ويستدعي ماء آخر ، يوهمهم بذلك و السلطان ميت ...** " [1].

علم أحمد المنصور بوفاة أخيه ، فأراد أن يجعل لهذا المأزق مخرجا ومنفذا ، و الحرب مستعرة فمال بمقدمة جيشه على مؤخرة العدو ، بينما اتجهت الميسرة ضد الرماة ، فتهالك المسيحيون صرعى من جراء هذه الصدمة العارمة وولوا الأدبار ، ونيران المغاربة تحرقهم وحرارة الصيف الشديدة تلفحهم، فدارت عليهم الدائرة ، وعملت السيوف في رقابهم [2] ، فوصف الفشتالي بذلك بطولة أحمد المنصور، و الدور الذي قام به في المعركة عند وفاة أخيه في أول الاصطدام [3] .

ثم لم تلبث قوات محمد زاركو ان قامت بهجوم معاكس ، وفي الوقت نفسه اجتمعت هيئة أركان حرب الجيش المغربي بأخيه الأمير المولى أحمد المنصور فبايعوه سلطانا على البلاد وقائدا للجيش المغربي المشتبك في معركة الحياة والموت ، واندفع الفرسان المغاربة يلاحقون البرتغاليين و الألمان فحصروهم بين حاجز العربات ووداي اللوكس فأنزلوا هزيمة بالألمان ، أما البرتغاليون فقد قاتل اللواء الملكي بشدة وحدثت مجزرة كبرى راح ضحيتها ألفي مغربي ، لكن نتيجتها كانت في صالح المغاربة إذ قتل (دون أفيرو) واستسلم (دورات دي منزيس) [4] .

أما السلطان السابق محمد المتوكل فقد أصيبت قواته بنكسة عظيمة عندما هاجمهم الجيش المغربي ، فهرب المتوكل على ظهر حصانه باتجاه أصيلا محاولا النجاة وعندما وصل نهر وادي المخازن

[1] المجهول : المصدر السابق ، ص 61.

[2] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 79 ، ينظر : عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص ص 106 ، 107.

[3] أبو فارس عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق ، ص ص 38 ، 39.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 184.

الممتلئ بالوحل سقط من ظهر حصانه وهو وسط الأوحال و المياه الشديدة الجريان ولم يكن يعرف السباحة فغرق في الوحل فمات [1].

في قلب أرض المعركة كان المغاربة يتابعون تقدمهم فيما راح البرتغاليون ومن معهم يتراجعون ، بينما كان الملك سيباستيان يقاتل تجاه عشرة آلاف فارس مغربي بقيادة السلطان أحمد المنصور ، ثم لم يلبث الفرسان العرب الذين كانوا على المرتفعات أن هجموا على شكل حلقة طوقوا بها القطعات التي كان سيباستيان معها ، فتكدست الوحدات البرتغالية على بعضها بدون تنظيم وقد نالها الهلع و الرعب ، وقتلت ثلاثة أحصنة تحت سيباستيان الذي ظل يقاتل وهو يحاول أن يجتمع شتات جيشه الذي بدا واضحا أنه يوشك أن يهرب من الميدان ، فقد ركض النبلاء الإسبان والفرسان البرتغاليون وتركوا خيولهم ولجأوا إلى العربات يحتمون بها ولما حاولوا الهرب لحقتهم الخيول العربية وأفنتهم سيوف الفرسان ، بينما استمر سيباستيان يقاتل وحيدا تقريبا [2] .

أخيرا أحاط به الفرسان العرب وأوقعوه من حصانه وانهالوا عليه بسيوفهم وأهلكوه ، كان مقتل سيباستيان بداية الكارثة التي حلت بالجيش البرتغالي وأحلافه ، فقد قطعت أمامهم طرق الانسحاب بسبب المد الذي ظهر على نهري اللوكس و المخازن وأصبحا غير قابلين للاجتياز فانحصروا من جميع الجهات مما أدى بهم إلى التشتت و الهرب ، فوقعت حالات عديدة من الاختناق و الدهس تحت الأقدام وتحت الأحصنة و العربات ، وأطبق الفرسان و المشاة المغاربة من كل الجهات على تلك الأكوام البشرية وأخذوا يصفون الجيوب الأخيرة للمقاومة ، وعند مغيب الشمس لم يكن قد بقي أحد من جيش سيبستيان ، وهكذا انتهت معركة الملوك الثلاثة ، حيث مات فيها ثلاث ملوك الأول ميتة طبيعية و الثاني غرقا بالماء و الثالث بالسيف [3].

حيث قال فيها عبد العزيز الفشتالي :

" وناهيك من يوم أحلى عن ثلاثة ملوك موتى ما بين مدجل وغريق وفائض النفس حتف الأنف وعن ثمانين ألف من المشركين ما بين قتيل وأسير " [4] .

[1] خليل أبو شوقي : المرجع السابق ، ص 67 ، ينظر : عبد الكريك كريم : المرجع نفسه .

[2] فالح حنضل : المرجع السابق ، ص ص 466 ، 467 ، ينظر : عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق .

[3] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني ، المصدر السابق ، 75 ، ينظر : فالح حنضل : المرجع نفسه .

[4] أبو فارس عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق ، ص 39.

المبحث الثالث :

النتائج

أسفرت معركة وادي المخازن الحاسمة عن نتائج بعيدة الأثر سياسيا ، واجتماعيا و اقتصاديا ، فقد نقلت المغرب نقلة نوعية في تاريخه الحديث ، وانعكست نتائجها على العلاقات الدولية في تلك الحقبة، فأصبح المغرب ليس ذلك القطر التي تصارعت من أجله القوى الدولية المجاورة ، كمنطقة نفوذ حيوية ، بل اكتسب من القوة السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، ما أهله أن يلعب دورا بارزا مع القوى التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس عشر [1] ، ويمكن إجمال نتائج هذه المعركة في النقاط التالية :

أولا / على المغرب

- أكدت معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م قوة المغرب والمغاربة سياسيا وأكدت استغلال المغرب كدولة محلية بعيدة عن التبعية للدول الإمبراطورية المحيطة بها ، كالأتراك العثمانيين ، الإسبان والبرتغاليين ، وأن هذا الإنتصار العظيم قد دعم هذا الاستقلال ودفع المغرب إلى مصاف الدول الكبرى وبدأت كل دول أوروبا تطلب ودها وتقدم التهاني لها بهذا الإنتصار العظيم وترغب في إقامة علاقات تجارية ، إقتصادية ، و سياسية معها ، كما أن النفوذ التركي لم يكن بالقدر كان يتوقعه الذين جاءوا بعبد الملك إلى عرش المغرب .
- كان من أثر تحقيق الإنتصار أن دفعت الأحداث العالمية بالمغرب بعد أن قطفت ثمار النصر الباهر في معركة القصر الكبير أن تحوّل دوره من الدفاع الداخلي في علاقات المغرب الدولية إلى دور يدفع المغرب إلى شغل موقع فعال في العلاقات الدولية بعد أن علت هيبة السعديين في العالم الإسلامي ، بإعتبارهم قد دافعوا عن ترابهم المقدس و حفظوا وصانوا كيان المغرب بشكل خاص والإسلام والمسلمين بشكل عام .
- لعبت المغرب دورها التاريخي والعالمي في الصراع العالمي بين القوى الأوروبية انجلترا ، فرنسا ، وإسبانيا وورثت العرش البرتغالي وهولندا ومحاولة الدولة المغربية أن يكون لها دور في تخطيط السياسة العالمية و إلتماس الدول الكبرى لا سيما إنجلترا التي كانت ترى في القيادة المغربية ركنا بارزا في

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 86.

السياسة العالمية ولمحاولة الإستفادة من الوضع العالمي في تأييد ولي العرش البرتغالي ضد المطامع الإسبانية لاسيما أنه كان لاجئا لدى المغرب [1].

- كما أن الاستقرار الداخلي ودعم الحكومة المركزية وإدارة أحمد المنصور مقاليد الأمور بالحكمة والرؤية و إستخدامه الدهاء الدبلوماسية في الإمساك بالخيوط اللعبة الدبلوماسية وإزالة الخطر الإسباني و البرتغالي و إستخدام الأسلوب البارع في درء الخطر العثماني التركي وكسر فكرة الغزو التركي للمغرب نهائيا وإبطال المخطط ، والسعي إلى تحقيق التوازن والمهادنة في علاقات المغرب الدولية .
- سعي أحمد المنصور في الإنتقال بالدولة المغربية إلى الدولة الإسلامية الكبرى والذي تسمى هو بإسم الإمام أمير المؤمنين خليفة المسلمين بعد أن سقطت الخلافة الحفصية في تونس وبعث في دولته نزعة الخلافة الإسلامية التي كان يحلم بإخضاع بقية بلاد المغرب وبلاد العالم الإسلامي الشرقي لهذه الخلافة القرشية الفاطمية العلوية الحسينية .
- كان الأولى بالسلطان الجديد أحمد المنصور السعدي الإستثمار في الإنتصار العظيم لا سيما أنه كانت توجد لديه أعداد كبيرة من الأسرى الأوروبيين ويكون مقابل إطلاق سراحهم هو رحيل كل القوات الإسبانية من جميع الثغور والمدن المحتلة وخاصة سبتة ، طنجة ، مليلية أصيلا التي أحتلت حديثا قبل المعركة ، وظلت تحت الحكم الإسباني حتى عام 1889م .
- أظهرت المعركة قوة حكام المغاربة في حفظ التوازن بين قوى الشرق والغرب ، مما جعل للمغرب دورا بارزا في السياسة العالمية ، بالإضافة أنها عادت على السلطان أحمد المنصور بالشهرة والثروة إستغلها في تأسيس إمبراطورية في غرب إفريقيا ، لينافس بذلك أكبر إمبراطوريتين في تلك الفترة هما : الإمبراطورية التركية العثمانية والإمبراطورية الإسبانية [2].
- مبايعة السلطان أحمد المنصور السعدي بعد انتصار وادي المخازن في 30 جمادى الثانية الموافق ل 4 أوت 986هـ / 1578م ، بعد الفراغ من القتال بميدان المعركة ، كتب إلى القسطنطينية مقرّ السّلطنة العثمانية ، يعلم السُلطان مراد خان الثالث العثماني ، وإلى سائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب ، يعلمهم بما أنعم الله عليه من نصر حاسم عظيم ، وإخفاق الغزو البرتغالي الصَّليبي لأرض المغرب ، واستئصال شأفته ، فوردت عليه من سائر الأقطار مهنئين مباركين له بما فتح الله عز وجل

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 179 – 187.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق .

على يده ، وكان أول الوفود من أقرب الأقطار من الجزائر ، ثم قدمت رسل السُلطان العثماني ومعهم هديته [1].

- استعادت المغرب وحدتها الوطنية وقوتها طيلة حكم أحمد المنصور السعدي ، وأمكن لها تحقق أعمالا عمرانية وتوسع نطاق النشاط الإقتصادي ، وتبذل جهودا موفقة في الميدان الفكري بموازاة العمل الشعبي .

✓ إستفاد المغرب إقتصاديا من الأموال البرتغالية التي دفعت لإفتداء الأسرى ، فاستفيد منها ووظّفت في تنمية الصناعات ، و المنشآت العمرانية [2].

- **عوامل النصر للمغاربة :**

كان وراء النصر الذي أحرزه المغاربة في هذه المعركة عدة عوامل أذكر منها :

✓ يشهد التاريخ بالعظمة و الحكمة و الشجاعة ، لعبد الملك المعتصم بالله ، ولأخيه أحمد المنصور الذهبي ، ولحاجبه رضوان ،كما يشهد أيضا لعدد من القادة ، أبرزهم : أبو علي القوري ، الحسين العلج ، ومحمد أبو طيبة ، علي بن موسى ، وأخوه أحمد بن موسى ، الذي كان عاملا على العرائش. ولن ينسى التاريخ الشيخ الجليل ، المجاهد الكبير أبا المحاسن يوسف الفاسي ، باعث روح الجهاد في القوى الشعبية ، الذي شارك في المعركة مخلصا ، لم يتزلزل عند الصدمة الأولى ، ولم يلتفت خلفه منذ توجه إلى قتال الغزاة ، ومع البلاء العظيم ، تورع عن الغنيمة فلم يلتمس منها شيئا .

✓ آلام المسلمين من سقوط غرناطة ، وضياع الأندلس ، إنها جراح لم تندمل ، ولم تنس ، ووحشية محاكم التفتيش وصور جرائمها التي ارتكبت ماتزال ماثلة في الأذهان .

✓ الخطة المحكمة المرسومة بدقة ، واستدراج الخصم إلى ميدان تحول في الخيل وتصول ، مع قطع طرق تموينه وإمداده ، ثم نسف القنطرة الوحيدة على نهر وادي المخازن .

✓ المشاركة الفعالة للقوى الشعبية بقيادة أبي المحاسن يوسف الفاسي ، لقد خاضت هذه القوى غمار المعركة بإيمان عظيم بالشهادة ، وبروح معنوية عالية لتحقيق النصر ، جعلت بعض القبائل تحارب الجيش البرتغالي الغازي بالمناجل و العصي [3].

---

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص ص 69 , 70.

[2] سمير عبد الرسول العبيدي : المرجع السابق ، ص 304 .

[3] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص 71 .

✓ تفوق المدفعية المغربية على مدفعية الجيش البرتغالي ، مع مهارة العثمانيين والأندلسيين في الرمي والتصويب بدقة .

✓ كانت خيل المسلمين المغاربة أكثر من خيل النصارى ، ويلائمها السّهل انتقاه السلطان عبد الملك المعتصم بالله ، فكانت عاملا في تحقيق النصر واستثماره ، عندما طوّقت المنهزمين قرب نهر وادي المخازن .

✓ كما ساعد في تحقيق النصر ، أن سيبستيان كان في جانب ومستشاروه وكبار رجالاته في جانب آخر [1].

ثانيا / بالنسبة للبرتغال

✓ قدرت خسائر البرتغاليين ب 14 الف قتيل و 20 ألف أسير ، في حين ذكر الفشتالي أن عدد القتلى والأسرى بلغ ثمانين ألف رجل ، ولم ينج إلا مائة رجل ، وأنهت معركة القصر الكبير اسطورة دولة البرتغال القوية وأبرزت فشل الحملات الصليبية على العالم الإسلامي [2].

✓ لما نعي خبر وفاة الملك سيبستيان إلى البرتغاليين ، لم يصدقوا ذلك بسهولة ، فقالوا : لا إنه مأسور فقط في المغرب ، حيث أن المجتمع البرتغالي كان يؤمن بالخرافات ، فانتشرت الأساطير حول الملك الشاب وأنه سيعود لينتقم ممن أخذ ملكه . كان في رأسه خمسة جروح اثنان منها عميقان فوق العين اليمنى ، لكن جسمه لم يصب بأية جروح بسبب الدرع الذي كان يرتديه ، وطلب السلطان أحمد من قادة الجيش و النبلاء الإقرار بأن الجثة لملكهم لكي يعمل على دفنها ، فشهد الجميع انها فعلا لسيبستيان ،وبعد ذلك حنط الجسم ونقل إلى مدينة القصر الكبير برفقة أحد النبلاء ليسهر على مراسيم الشرف التي أمر السلطان بإقامتها عند دفن الجثة ، وفي يوم 4 /1578/11، نقل التابوت إلى مدينة (سبتة) حيث حفظ في كنيسة الثالوث المقدس حتى عام 1582م [3].

يقول لويس ماريّة – المؤرخ البرتغالي – واصفا نتائج المعركة : " وقد كان مخبوءاّ لنا في مستقبل الأعصار ، العصر الذي لو وصفته – كما وصفه غيري من المؤرخين – لقلت : هو عصر النّحس البالغ في النحوسة ، الذي انتهت فيه مدة الصّولة والظّفر والنّجاح ، وانقضت فيه أيّام العناية من البرتغال ، وانطفأ مصاحهم بين الأجناس ، وزال رونقهم ، وذهبت النّخوة والقوّة منهم وخلفها الفشل

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص ص 74 ، 75.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 187.

[3] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص 71، ينظر : فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 468.

، وانقطع الرّجاء ، واضمحل إبان الغنى والرّبح ، وذلك هو العصر هلك فيه سيبستيان في القصر الكبير من بلاد المغرب " [1] .

✓ بويع الحاكم الكاردنال هنري بعد وصول خبر موت سبستيان (1578-1580) ، ودخول البرتغال تحت الوصاية الإسبانية بعد موت الكاردنال العجوز ، وتمكن الجيش الإسباني من القضاء على المقاومة البرتغالية الضعيفة [2] و خسرت استقلالها باستيلاء اسبانيا عليها عام 1581م وبقيت تحت رحمتها إلى عام 1640م تقريبا [3].

✓ كانت كارثة ومأساة على البرتغال التي كانت دولة عظمى في القرنيين الخامس عشر / السادس عشر الميلاديين ؛ لقد فر من ساحة المعركة عدد ضئيل ، من الجيش البرتغالي الهائل ، وكان وصوله إلى أصيلا بأعجوبة ، فأقلعت السفن مسرعة وأوصلت الخبر إلى لشبونة ، فنزل عليها نبأ الهزيمة كالصاعقة ، وأصابها ذهول شديد ، وما من بيت إلا دخله الحزن ، وعمه العويل من جراء ما فقدته من أبطالها وخيرة شبابها فجللت المدينة بالسواد ، ونكست الأعلام في سائر البلاد ، وكانت ضربة قاصمة لا للبرتغال وحسب ، ولكن للأمم جميعها ، التي تبخرت معها أحلام الصليبية و الصلبيين في المغرب إلى الأبد [4].

✓ إفقار البلاد بسبب تلك الحملة لكثرة ما تطلبه من أموال ، ولما حمله النبلاء معهم من أموال وأحجار كريمة ، ولما دفعه الأسرى البرتغاليون لتحرير أنفسهم وتحرير ذويهم " ... إن السلب و الغنائم المحصل عليها بتلك المعركة يمثل أهم ما تم الحصول عليه بكل معارك العالم المعروفة ، لأن في غيرها تحدد أهمية الجيش بالسلاح و الخيرة في حين أن في هذه لم يكن الرجال الذين التحقوا بساحة المعركة يبحثون إلا عن راتب أكيد أو عن النصر أو عن التفاخر بالجاه و النفوذ ، لذا حملوا معهم ثروتهم من الذهب و الفضة جاعلينها زينة ، وذلك بدون خوف من أن تغني أعداءهم [5].

---

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص ص 74 ، 75، ينظر : فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 468.

[2] أحمد بوشرب : **وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه** ، ط1، دار الأمان ، الرباط 1997، ص 124.

[3] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 469.

[4] سعيد أعراب : المرجع السابق ، ص 94.

[5] أحمد بوشرب : المرجع نفسه .

✓ نشأت الظاهرة السيبستيانية من هالة القداسة الدينية ، التي كانت تدعي أن سيبستيان إختفى إلى حين ، وسيعود لإقامة ملكه من جديد ، وظهر من ينتحل اسم سيبستيان لتأجيج المشاعر الوطنية وتخليص البلاد من السيطرة الإسبانية [1].

✓ التقطت جثة الخائن محمد المتوكل من الوحل و الطين فأمر السلطان أحمد المنصور بسلخ جلده وحشوه تبنا وأرسله إلى مراكش ، فطيف به ليعاينه ويعتبرون به فصار اسمه يعرف (بمحمد المسلوخ) [2].

- **أسباب الهزيمة البرتغاليين :**

تعددت وتنوعت عدة أسباب التي أدت بهزيمة الجيش البرتغاليين منها :

– انعدام السرية في تجهيز الحملة ، الأمر الذي جعل كل دواوير إفريقيا تعلم بنواياه ، وهذا ما أعطى للسلطان مدة ثلاثة أشهر لجمع قواه وتحصين سواحل بلاده .

– ارتكابه لعدة أخطاء تكتيكية كتحركه البطيء وإقامته بأصيل ، ثم تخليه عن مشروعه الأصلي القاضي بالاكتفاء باحتلال العرائش ، ورفضه لاقتراح المتوكل الرامي إلى احتلالها ، واتخاذه لقرار اعتبر مغامرة كبرى ، وذلك بالتحرك برا من أصيلا إلى العرائش ، واصراره على إعطاء الأوامر دون أن تكون له دراية بشؤون الحرب .

– إتخذ الجيش البرتغالي وضعا قتاليا لا يسمح بالمناورة إذا إعتمد نظام المربعات (الكراديس) وأحاط جناحيه بالعربات وجعل مؤخرته تستند إلى وادي المخازن ومستنقعاته مما يحول دون التراجع [3] .

ثالثا / أثر المعركة على العلاقات الدولية و توازن القوى العالمية

إن واقعة وداي المخازن 986هـ/ 1578م انسحبت آثارها على العلاقات الدولية الأوروبية بشكل أكثر مما هو متوقع كمعركة محلية ، فقد تغيرت نظرة الدول الأوروبية كلها للمغرب ، بل جعلتها وهي التي كانت تندفع بحماس إلى المشاركة في حملات صليبية ، إلى أن تعيد النظر قبل ان تقدم على تكرار ذلك ، لذا فتحت معركة وادي المخازن صفحة جديدة من الحوار والتعايش السلمي بين المغرب و أوروبا [4].

---

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 89-91.

[2] فالح حنضل : المرجع السابق ، ص 467.

[3] سمير عبد الرسول العبيدي : المرجع السابق ، ص 303 .

[4] سمير عبد لرسول العبيدي : المرجع السابق ، ص 305.

أدت هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن 1578م إلى تنبيه القوى الأوروبية الأخرى مثل الهولنديين و الإنجليز و الفرنسيين إلى أهمية المستعمرات البرتغالية ، ومناطق نفوذهم ومصادر ثروتهم فراحت بريطانيا تضع الخطط لتحطيم إسبانيا ، و البرتغال ، عسكريا وسياسيا بغرض الهيمنة على مستعمراتها، ومن ثم إخضاع ممتلكاتها لنفوذ التاج البريطاني ، سواء في أمريكا الآتينية ، أو الوجود البرتغالي في فاس ، بعدما تحالفت الملكة "إليزابيث " مع الشاه " عباس الصفوي " وتمّ بذلك تصفية الوجود البرتغالي في هذه المناطق [1].

إذن ؛ تعد معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م (القصر الكبير) أو (الملوك الثلاثة) ، إحدى المعارك الكبرى خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بين القوة الإسلامية التي مثلتها الدولة السعدية بدعم العثمانيين ، والقوى المسيحية التي مثلتها الدولة البرتغالية ، حيث تعبر المعركة إمتدادا للحملات الصليبية ضد العالم الإسلامي ومنطقة المغرب ، فقد جاءت الحملة البرتغالية على بلاد المغرب في عهد السعديين بدعم من بابا الفاتيكان ومباركة الكنيسة ؛ إذ شهدت هزيمة نكراء وقاسية للجيش البرتغالي والقوى المسيحية الأوروبية غيرت من موازين القوى العالمية .

[1] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 534.

نتائج الفصل :

في ختام هذا الفصل توصلنا إلى مجموعة من النقاط ونتائج وهي كالتالي :

- تعد البرتغال من القوى المسيحية الصليبية و التي سعت لاحتلال في مناطق وسواحل المغرب العربي و الإسلامي ، بفضل قوة اسطولها وجيشها البحري .
- تعد معركة وادي المخازن 1578م من احدى الحملات الصليبية ضد العالم الإسلامي .
- لقد كان النصر المحقق للمغاربة في وادي المخازن نتيجة للتخطيط وتنظيم الجيد ، والخبرة والقيادة العسكرية الحكيمة والإيمان القوى بالله ونصرة الحق وإعلاء كلمة الحق .
- الدور البطولي لشخصية عبد الملك في المعركة و الذي عرف بشجاعته وحكمته وإيمانه والذي خلده التاريخ بأحرف من ذهب .
- الوحدة بين المغاربة والأتراك العثمانيين في الجزائر لمواجهة القوى المسيحية .
- استطاعت معركة وادي المخازن وضع حدا لزحف الصليبي بصفة عامة و الغزو الايبيري بصفة خاصة وكسرت شوكة البرتغال التي فقدت استقلالها لصالح إسبانيا في 16 مارس 1581م .
- غيرت معركة وادي المخازن 986هـ/ 1578م في العلاقات الخارجية المغربية الأوروبية و الصراعات الدولية .
- خلّفت المعركة فراغا في المستعمرات البرتغالية في أمريكا الجنوبية (البرازيل) ، وجزر المحيط الأطلسي ، سواحل الخليج العربي ، أدت إلى أطماع القوى العالمية في ممتلكاتها .
- تسببت المعركة في خلق خلافات وصراعات وكراهية بين الشعبين البرتغالي و الإسباني .
- رغم انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن ، إلا أن احمد المنصور في عزّ قوته لم يستغله في إسترجاع الثغور المحتلة .
- إكتساب المغرب مكانة دولية كقوة مؤثرة في منطقة الشمال الإفريقي ، حيث سارعت القوى الأوروبية لعقد وربط علاقات ومعاهدات ودية معه .
- حال إنتصار المغرب في معركة وادي المخازن أطماع الدولة العثمانية لضمه وإلحاق الجهة الغربية لشمال إفريقيا لممتلكاتها .
- الإنتعاش الإقتصادي والاستقرار السياسي للمغرب عقب الانتصار في معركة وادي المخازن 1578م .

- الدور المعنوي و الروحي للعلماء في أرض المعركة ، وايمان الشعوب بقضيتها وإسناد الأمر والقيادة و المثال الحسن كعبد الملك السعدي فإنها ستنتصر على الأعداء .
- الخبرة و الدهاء و الحنكة العسكرية والتخطيط الجيد و التنظيم المحكم لعبو دور مهم في انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن 1578م .

الفصل الثالث

أوجه التشابه والاختلاف بين المعركتين

المبحث الأول: أوجه التشابه

المبحث الثاني: أوجه الإختلاف

المبحث الثالث: النتائج والآثار

تمهيد :

عرف العالم الإسلامي حروبا ومعارك كبرى خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي خاضتها دول وكيانات إسلامية ، الساعية لنشر الإسلام في الأراضي الأوروبية و الوقوف في وجه القوى المسيحية الصليبية الرامية للقضاء على الوجود الإسلامي و الإستيلاء على الأراضي الإسلامية شرقا وغربا في إطار الحروب الصليبية .

إذ تعتبر معركتا ليبانت 978هـ / 1571م – معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م ، من أكبر المعارك التي شهدها العالم الإسلامي خلال تلك الفترة ، فبالنسبة لمعركة ليبانت 978هـ /1571م التي خاضتها الدولة العثمانية ضد القوى الأوروبية المتحالفة (الحلف الأوروبي المسيحي المقدس) بزعامة البابا بيوس الخامس pape Pius VI في إطار الحروب الدينية الساعية للقضاء على الهيمنة العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، والتي عرفت هزيمة مريرة للقوة العثمانية وأسطولها إنعكست على العالم الإسلامي وعلى ممتلكات الدولة العثمانية في الشرق والغرب .

أما بالنسبة لمعركة وادي المخازن 986هـ / 1578م التي شهدت مواجهة عسكرية بين الجيش المغربي خلال الحكم السعدي بقيادة السلطان عبد الملك السعدي و بمساعدة عثمانية ، والجيش البرتغالي بقيادة الملك الشاب الدون سيبستيان بدعم أوروبي ، الذي سعى للإستيلاء على المغرب والقضاء على الإسلام والمسلمين وكسر النفوذ العثماني في الأراضي المغاربية وسيطرته على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

إذ تعتمد دراستنا التركيز على المقارنة بين المعركتين في عدة نقاط ، خاصة أنهما من بين أكبر معارك النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادي عشر الميلادي ، التي تحمل الطابع الديني والعداء المسيحي الصليبي للقضاء على الإسلام ، كما أن نتائجهما أثرتا في طبيعة ومسار العلاقات بين الدولة العثمانية والبلدان المغاربية من جهة ، والدول الأوروبية من جهة أخرى ؛ بالإضافة إلى التغيير في موازين القوى العالمية .

من هنا نطرح الإشكالية التالية : ما أوجه التشابه و الإختلاف بين معركة ليبانت 1571م و معركة وادي المخازن 1578م ؟ وما إنعكاساتهما على العلاقات الدولية وموازين القوى العالمية ؟ .

المبحث الأول :

أوجه التشابه

أولا /من ناحية الزمان (القرن) :

تشترك المعركتين (معركة ليبانت 979هـ /1571م – معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م) في أن أحداثهما وقعت خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، إذ يعتبر القرن السادس عشر قرن العثمانيين و الإسبان بإمتياز ، نظرا للقوة العسكرية التي يملكانها المتمثلة في الأسطول البحري ، جعل من البحر الأبيض المتوسط ومنطقة المغارب منطقة صدامات بينهما .

بالإضافة إلى أن القرن السادس عشر يعرف كذلك بقرن الصدامات عسكرية بين القوة العثمانية والقوة الإسبانية على وجه الخصوص ، والقوى الأوروبية على وجه العموم ، تزامنا و التحرشات الإسبانية على سواحل الأقطار المغاربية .

فمعركة ليبانت 979هـ / 1571م جرت أحداثها يوم السابع عشر جمادى الأولى سنة 979هـ يوم الأحد 7 أكتوبر 1571م ، إصطدم الأسطول العثماني مع الأسطول المسيحي المتحالف ، في مضيق ليبانتو وأسفر الاصطدام عن تخريب الأسطول العثماني وهزيمته [1] .

إذ يقول عنها المؤرخ نيقولاي إيقانوف بأنها إحدى أكبر المعارك في تاريخ البشرية [2] ، بينما يصفها المؤرخ خليل إينالجيك بأنها أكبر موقعة جرت في البحر المتوسط حتى ذلك حين [3].

أما معركة وادي المخازن ، القصر الكبير ، معركة الملوك الثلاثة فوقعت أحداثها يوم الإثنين 30 جمادى الأولى 986هـ / الموافق ل 4 أوت 1578م [4] ، إنتهى عن إنتصار إسلامي مغربي كبير وحاسما وهزيمة منكرة للجيش البرتغالي الأوروبي [5].

ثانيا / الإستعدادات الحربية

إن من بين أهم العوامل التي تدل على أن معركتي (ليبانت 979هـ / 1571- وادي المخازن 986هـ/1578م) ، تعد من بين أكبر معارك الفترة الحديثة عموما ، والنصف الثاني من القرن

[1] عزيز سامح إلتر : المرجع السابق ، ص 231 .

[2] نيقولاي إيقانوف : المرجع السابق ، ص 244 .

[3] خليل إينالجيك : المرجع السابق ، ص 68 .

[4] عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ص 47.

[5] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 185.

السادس عشر الميلادي خصوصا ، التجهيزات العسكرية و الإستعدادات الحربية من حشد الجنود والأسلحة والعتاد الحربي .

إذ تشترك المعركتين في هذه النقطة ، فكلا المعركتين عرفت أرقاما هائلة في عدد الجنود ، رغم إختلافات المصادر العربية والأجنبية في تحديد وضبط الأعداد الحقيقية للحشود فيهما .

فمهما اختلفت الروايات و المصادر و المؤرخين من الجانب العربي أو الأجنبي ، وتباينت الأرقام و الإحصائيات في الإستعدادات العسكرية بين الموقعتين ، فإنهم يتفقون على أن المعركتين كانتا من أكبر المعارك التي عرفها حوض الأبيض المتوسط من جانب موقعة ليبانت 979هـ/1571م ، و بلاد المغرب خلال عهد السعديين من جانب موقعة وادي المخازن 986هـ / 1578م .

فقد تألفت الأسطول العثماني في معركة ليبانت 979هـ/1571م من 250 سفينة حربية ، وإنضمت إليها قوات إيالة الجزائر التي تألف من 20 سفينة حربية [1].

أما صاحب التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية ذكر أن عدد الأسطول العثماني الذي جهزته الدولة العثمانية بلغ 180 سفينة [2]، وهناك من الباحثين من ذكر أن تعداد الأسطول العثماني بلغ 300 سفينة . [3]

بينما ذكر نيقولاي إيقانوف أن الأسطول العثماني تكون من 230 سفينة حربية [4] ، بينما ذكر روبير شوسّوا أن السفن العثمانية قاربت 250 سفينة حربية [5] .

تذكر بعض المصادر أنها قدرت بنحو 245سفينة ، في حين ذكرت المصادر الأجنبية أن العمارة العثمانية تشكلت من 230 سفينة حربية [6].

تراوح عدد الجنود الأسطول العثماني من 34 ألف مقاتل ، و 13 ألف بحارا ، 750 مدفعا 41ألف مجدف ، فقد شملت الاستعدادات العثمانية توفير مختلف أنواع السفن التي بمقدورها اختراق سفن الأعداء ، بالإضافة إلى توفير المؤن الغذائية والمعدات الطبية الآزمة [7].

---

[1] محمود السيد الدغيم : المرجع السابق ، ص 35.

[2] حليم إبراهيم بك : المصدر السابق ، ص 99.

[3] تركي عباس : المرجع السابق ، ص 112 ، ينظر : محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص 257 .

[4] نيقولاي إيقانوف : المرجع السابق ، ص 244 .

[5] روبير شوسّوا : المرجع السابق ، ص 38 .

[6] عبد القادر فكاير ، المرجع سابق ، ص 418 ، ينظر : علي حسّون : المرجع السابق ، ص 126.

[7] عبير بن نذير ، خديجة قباني ، المرجع السابق ، ص 30.

بينما بلغ تعداد الأسطول البحري للتحالف المسيحي من 295سفينة و 30 ألف جندي ، 16 ألف جدافا و 208 سفن حربية ؛ منها 114بندقية و 70 إسبانية و 12 بابوية و 3 جنوية و 36 سفن مالطية تحت قيادة فرسان القديس يوحنا ، و 3 سفن سافؤائية [1] .

أما بالنسبة لمعركة وادي المخازن 986هـ / 1578م ، فقد وقعت تباينات بين ما ذكرته المصادر المغربية و المصادر الأجنبية حول تعداد الجيوش المغربية ، إذ تقول بعض المصادر أنه قدّر بنحو أربعين ألف ومائة وعشرة آلاف مجاهد ، وما بين عشرة آلاف وعشرين ألف فارس ، بالإضافة إلى عشرين و أربعة وثلاثين مدفعا .

هناك تقديرات قدّرت الجيش المغربي بأربعة عشر ألف فارس و ألفين وخمسمائة من المشاة المسلحين بالبنادق ، هذا بالإضافة إلى جيش أخيه أحمد المنصور السعدي حاكم فاس المكوّن من 22 ألف فارس و 5000 جندي مشاة مسلح بالبنادق .

كما أفادت مصادر أخرى أن الجيش المغربي ضمّ أكثر من 80 فارسا ، 6000 جندي مشاة تركي ، 2000 محارب زواوي مع اثني عشر مدفعا إنضموا إلى قوات السلطان عبد الملك السعدي [2].

بينما كذلك اختلفت الدراسات المغربية والأجنبية في تحديد التعداد الحقيقي للجيش البرتغالي في معركة وادي المخازن 1578م ، فقد تراوح تعداد الجيش البرتغالي حوالي عشرين الف محارب ، مدعمة بقوات المتوكل التي كانت تقدر بنحو خمسمائة فارس [3] .

فقد ذكر المجهول أن الجيوش البرتغالية بلغت ستين ألفا [4] ، بينما ذهب الأفراني بأن الجيوش البرتغالية بلغت مائة ألف و خمسة وعشرون ألف مقاتل[5] ، أما بالنسبة للمصادر الأجنبية فذكرت أن تعداد الجيش البرتغالي بلغ ثمانين ألف مقاتل [6] ، منها عشرين ألف جندي إسباني ، خمسمئة ألف

---

[1] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص 257 ، ينظر : يلماز أوزتونا : المرجع السابق ، ص 372.

[2] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص ص 457 ، 458.

[3] فالح حنظل : المرجع نفسه .

[4] المجهول : المصدر السابق ، ص 58.

[5] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني ، المصدر السابق ، ص 73.

[6] Ernest Charrière :op.cit, p722.

جندي برتغالي عند نزوله بطنجة ، إثني عشر ألف جندي إيطالي ، أربعة آلاف جندي بابوي بعث بهم بابا الفاتيكان ، بالإضافة إلى ألف وخمسة من الخيل واثني عشر مدفعا ونحو ألف سفينة حربية [1].

إذن ، انطلاقا مما ذكراه آنفا بخصوص استعدادات الأطراف المتصارعة في المعركتين ، نقول إن الأرقام و الإحصائيات التي ذكرتها المصادر العربية أو الأجنبية المتعلقة بالإستعدادات الحربية رغم التباين البسيط في تعدادها ، فإن المعركتين تشتركان في التعداد العسكري الضخم ، و الحشد البشري في عدد الجنود و المعدات الحربية ، بالإضافة إلى أن كلا من الموقعتين إستخدمت فيها المدافع و البارود.

ثالثا / الصراع الديني :

إن الصراع الأبدي والأزلي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ظل مستمرا ومتواصلا بمرور القرون والعصور ، حيث أن الحروب الصليبية على العالم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة ، انبعثت خلال الفترة الحديثة وبالتحديد خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي .

حيث تجددت الصراعات والصدامات والمعارك بين القوتين ، وأعلنت الدول الأوروبية المسيحية الحرب على الدول الإسلامية شرقا وغربا بشكل عام ، والدول المغاربية على وجه الخصوص .

إذ نرى أن التحرشات والغزوات المسيحية على القوى الإسلامية كانت أسبابها ودوافعها دينية محظى ، خاصة أنها لقيت الدعم و المباركة من الكنيسة المسيحية ، إذ حسب اعتقادهم أنه من الواجب إسترجاع الأراضي التي فقدوها لصالح المسلمين و التخلص منهم نهائيا .

إن الباحث في خلفيات المعركتين يرى أنها كانت من مظاهر الحقد الصليبي والحروب الصليبية على البلدان الإسلامية ، التي تجددت خلال الفترة الحديثة دائما في إطار صراع الهلال والصليب .

فمعركة ليبانت 979هـ / 1571م شهدت تحالف الدول الأوروبية بمجهودات البابا بيوس الخامس ، الذي يرجع إليه الأمر في عقد التحالف الأوروبي المسيحي للقضاء على القوة العثمانية في شرق أوروبا خاصة بعدما فتحت قبرص سنة 1571م ، والتي تعتبر بوابة أوروبا ومفتاح العثمانيين للإستيلاء على شرق أوروبا والتوغل في أرجائها وفتحها للسيطرة على حوضي البحر الأبيض المتوسط، ضمن مساعيها لعثمنة البحر الأبيض المتوسط وتحويله لبحيرة عثمانية .

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص 178.

إذ كان محتما على الدول الأوروبية الدخول تحت غطاء الكنيسة وراية المسيحية الصليبية و توحيد القوى من أجل الوقوف أمام المد العثماني [1].

أما معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م فكانت من بين مخلفات معركة ليبانت 979هـ / 1571م ، خاصة بعد انقياد الدولة العثمانية لهزيمة مريرة و قاسية أثرت على العالم الإسلامي ومنطقة المغارب [2].

إذ سعت البرتغال للإستثمار في النصر الذي حققته الدول الأوروبية المتحالفة في واقعة ليبانت 1571م ، بعدما كسرت مخاوف أوروبا من القوة العثمانية وفقدت سيطرتها على حوض البحر الأبيض المتوسط ، لهذا سعى ملك البرتغال الضون سيبستيان لغزو المغرب ، خاصة أنه حلم منذ صغره بعد أن خضع لتربية دينية خاصة في أحضان الكنيسة الكاثوليكية ورعاية اليسوع ، التي زادت من حقده على الإسلام والمسلمين ، خاصة بعد اعتلائه لعرش المملكة البرتغالية ، إذ سعى لتنفيذ مخططاته و الإستيلاء على المغرب وإنهاء الوجود العثماني ونفوذه على الساحل المغاربي [3].

رابعا / الأهداف التوسعية :

لقد تقاطعت كل من معركتي (ليبانت 979هـ / 1571 – وادي المخازن 986هـ / 1578م في الأهداف والغايات ، إذ سعت القوى الإسلامية ممثلتا في الدولة العثمانية في موقعة ليبانت 1571م و الدولة السعدية في موقعة وادي المخازن 1578م ، فقد عملت الدولة العثمانية على التوسع في أرجاء أوروبا وزيادة رقعتها الجغرافية ، والسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط وتأمين طرق السفن التجارية العثمانية ، ووضع حد للقرصنة الاوروبية وهيمنتها على المواصلات البحرية في البحر الأبيض المتوسط و إخضاع أوروبا تحت النفوذ العثماني .

بالإضافة إلى إدخال الساحل المغاربي ضمن الاملاك العثمانية بما فيها المغرب الأقصى ، وتأمين الحدود الغربية للإمبراطورية العثمانية ضمن الأهداف و المشاريع العثمانية الرامية لإدخال الساحل المتوسطي الشرقي و الغربي ضمن السيطرة العثمانية [4] ، و ضرورة غزو شرق أوروبا وتأمين حدود وأراضي الدولة الإسلامية بشكل عام ، وممتلكات الدولة العثمانية شرقا وغربا [5] .

---

[1] أحمد سالم : المرجع السابق ، ص 268 ، ينظر : عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص ص 416، 417.

[2] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص 111.

[3] موسى المودن : المرجع السابق ، ص 46.

[4] أحمد سالم : **إستراتيجية الفتح العثماني** ، المرجع السابق ، ص 260.

[5] أحمد سالم : المرجع السابق ، ص ص 260 ، 261.

أما بخصوص أهداف الدولة السعدية فقد سعت للتخلص من الغزو البرتغالي لأراضيها ، والتي أخضعت المواقع الاستراتيجية الهامة للمغرب تحت الحكم البرتغالي ، و التحرر من تبعية السعديين للنفوذ البرتغالي .

إذ نرى سعي السلطان السعدي عبد الملك المعتصم بالله لتوحيد بلاد المغرب تحت الحكم السعدي ، والتخلص من الغزو البرتغالي و إسترجاع الثغور المغربية في الساحل المغربي.

زيادة على الاستقلالية في الحكم ، خاصة بعد التدخل العثماني في شؤون الحكم السعدي لإعطاء مكانة دولية للمغرب ضمن إطار مسار العلاقات و تغيير موازين القوى خاصة في الساحل المغاربي و حوض البحر الأبيض المتوسط .

اما بالنسبة للقوى الأوروبية المسيحية فكانت لها نفس اهداف القوى الإسلامية ، فقد سعت للتخلص من السيطرة العثمانية الإسلامية على حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي ، و التصدي للمشروع العثماني الإسلامي الساعي لنشر الإسلام في أرجاء أوروبا ، و السيطرة على القارة الأوروبية وتقليم أظافر الدولة العثمانية في أوروبا وكسر حاجز الخوف من الأسطول القوة العثمانية التي ارعبت القوى الأوروبية .

إذ أعلنت الحرب على الأتراك العثمانيين لأجل إستعادة الأراضي التي إستولو عليها من المسيحيين ، خاصة دول المغرب العربي الخاضعة للحكم العثماني [1] ، بالإضافة إلى تأمين القسم الشرقي من البحر المتوسط ، و تعبيد الطريق لفتح العديد من المراكز و المعاقل الإسلامية [2] ، كما أن الدول الأوروبية المتحالفة سعت لكسر الخوف من القوة العثمانية المرعبة في أرجاء أوروبا و الحوض المتوسط ، والتصدي للزحف الأوروبي الذي يهدد القارة الأوروبية [3] .

إذن ، نقول أن كل من القوتين الإسلامية و المسيحية كان لهما نفس الأهداف التوسعية للسيطرة على المناطق الإستراتيجية الهامة وحوضي البحر الأبيض المتوسط , و ضم مناطق وأراضي جديدة على حساب بعضهما .

[1] سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 135.

[2] عبد الحق بوديسة : المرجع السابق ، ص 42.

[3] خليل إينالجيك : المرجع السابق ، ص 68.

خامسا / مشاركة أتراك الجزائر:

تعتبر مشاركة الاتراك الجزائريين في كل من معركتي (ليبانت 979هـ / 1571م – وادي المخازن 986هـ / 1578م) من أبرز نقاط التشابه بينهما ، حيث شاركت القوات البحرية والبرية في أطوار المعركتين .

إذ استعان السلطان العثماني في معركة ليبانت 1571م بالأسطول الجزائري بقيادة أمير الأمراء إيالة الجزائر القلج علي باشا ، حيث أصدر الباب العالي فرمانا سلطانيا يأمر فيه أمير الأمراء إيالة الجزائر بالالتحاق بالأسطول العثماني في منطقة ليبانت باليونان لدعم العمارة العثمانية في حربها ضد أسطول التحالف الأوروبي المسيحي [1] .

كما شاركت القوات البرية المتمثلة في الجيش الانكشاري في معركة وادي المخازن 1578م لدعم السلطان السعدي عبد الملك المعصتم بالله ، من خلال إصدار السلطان العثماني مراد الثالث فرمانا سلطانيا يأمر فيه حاكم إيالة الجزائر حسن فنزيانو بضرورة تقديم الدعم العسكري للجيش المغربي في مواجهته للجيش البرتغالي في موقعة القصر الكبير [2]، إذ ساهمت المدفعية التركية في حسم المعركة لصالح المغاربة ، خاصة أنهم يملكون الخبرة الحربية من خلال المشاركة في المعارك البحرية في البحر الأبيض المتوسط [3] .

يمكن القول بأن معركة ليبانت 979هـ / 1571م و معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م تتشابهان في عدة نقاط , خاصة أنهما من أكبر معارك النصف الثاني للقرن السادس عشر، التي أثرت في تغيير مسار العلاقات الدولية و موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط و الساحل المغاربي.

[1] محمد سي يوسف : المرجع السابق ، ص ص 115 ، 116.

[2] صالح عباس : المرجع السابق ، ص 98 .

[3] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، 75.

المبحث الثاني

أوجه الإختلاف

أولا / المكان :

إختلفت حلبة الصراع بين موقعتي ليبانت 1571م و وادي المخازن 1578م ، فقد تفرقت الأمكنة التي حدثت فيها أطوار المعركتين ، حيث أن معركة ليبانت 1571 م وقعت في شرق البحر الأبيض المتوسط ، أما معركة وادي المخازن 1578م فوقعت أحداثها في أقصى الساحل المغاربي وغرب البحر الأبيض المتوسط .

فبالنسبة لمعركة ليبانت 1571م فوقعت مجرياتها في مضيق ليبانت على حافة المضيق الواصل بين خليج باتراس و خليج كورنت ، قرب الساحل الغربي لشبه جزيرة الموره اليونانية [1].

أما بالنسبة لمعركة وادي المخازن أو القصر الكبير فجرت أحداثها بالضفة الجنوبية لوادي المخازن بقصر كتامة [2] .

ثانيا / طبيعة المعركة :

لقد إختلفت المعركتان (معركة ليبانت 979هـ / 1571 م – معركة وادي المخازن 986 هـ / 1578 م) في طبيعتها ، إذ تعتبر معركة ليبانت 1571م معركة بحرية جرت أطوارها في مياه خليج كورنتيا – ما بين ليبانتي و باتراس [3] ، فقد ذكر خليل إينالجيك أن معركة ليبانت 1571م تعتبر أكبر موقعة جرت في البحر المتوسط [4] .

بينما تميزت معركة وادي المخازن 1578م بأنها معركة برية داخلية ، وقعت بجانب وادي المخازن بالقصر الكبير .

فقد تناول الدكتور المؤرخ عبد الكريم كريم أن المعركة جرت في دواخل المغرب ، من خلال قوله أن الجيش البرتغالي زحف بجيشه نحو الداخل وبالتحديد يوم الثلاثاء 29 جويلية1578م و استقر الجنود البرتغاليين بالضفة اليسرى لنهر وادي المخازن يوم 3 أوت 1578م بمنطقة القصر الكبير ،

---

[1] روبير شوسّوا : المرجع السابق ، ص 37 .

[2] إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 293.

[3] سعيد أحمد بجاوي : المرجع السابق ، ص 136 .

[4] خليل إينالجيك : المرجع السابق ، ص 68.

إذ إلتقى الجيش البرتغالي و الجيش المغربي يوم 30 جمادى الأولى 986هـ الموافق ل 4 أوت 1578م بوادي المخازن في واقعة تاريخية عرفت بمعركة وادي المخازن أو القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة[1].

ثالثا / الخسائر البشرية

لقد كانت نتائج المعركتين من ناحية الخسائر البشرية كبيرة جدا و مهولة كعظم الواقعين ، إذ فقدت أطرافها أعداد هائلة من الجنود والمقاتلين والأسلحة والعتاد الحربي ، وضمن أبرز الخسائر البشرية فقدان الشخصيات والقادة العسكريين المهمين .

لكن من خلال دراستنا لنتائج المعركتين ، تبين لنا أنه يوجد اختلافات بين المعركتين من ناحية فقدان أبرز القادة ، حيث أنه في معركة ليبانت 1571 م فقدت الدولة العثمانية كلا من القبودان علي باشا ، وقائد القوات البرية بورتو باشا [2]، إضافة إلى قائد الميمنة محمد شولوك[3] ، مع ذلك لم تكن خسائرها البشرية كنتائج معركة وادي المخازن 1578م ، إذ أن كلا من الدولة السعدية و الإمبراطورية البرتغالية فقدت ملوكها في أطوارها .

فقد نتج عن معركة وادي المخازن 1578 م وفاة ثلاثة ملوك مرة واحدة ، و تعلق الأمر بملك الإمبراطورية البرتغالية الضون سيبستيان ، وملك المغرب و سلطان الدولة السعدية عبد الملك المعتصم بالله السعدي ، و السلطان المخلوع محمد المتوكل (المسلوخ) ، إضافة إلى أن هناك من المؤرخين والمصادر التي تطلق على معركة وادي المخازن بمعركة الملوك الثلاثة نسبة لفقدان الملوك الثلاثة في معركة واحدة ، مما يدل على ثقل الأسماء التي فقدت في هذه المعركة التاريخية في تاريخ المغرب والمملكة البرتغالية ، والذي أثر وفاتها على مستقبل بلدانها [4] .

رابعا / المستقبل السياسي :

تتفق المصادر سواء العربية منها و الأجنبية أن معركتي ليبانت 1571 م – وادي المخازن 1578م تعد من أكبر المعارك الفترة الحديثة عموما ، و النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي خصوصا ، حيث أن نتائجها أثرت في استمراريتها ومكانتها العالمية ، لكن إختلفت في درجة التأثر و مدتها الزمنية .

---

[1] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص 105.

[2] ابراهيم حليم بك : المرجع السابق ، ص 99 .

[3] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 418 .

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 184.

إذ أن الخسارة القاسية للدولة العثمانية في معركة ليبانت 1571م حسب المؤرخين اعتبرت بداية العد التنازلي لإنهيار الإمبراطورية العثمانية ، حيث أثرت الهزيمة الثقيلة للأسطول العثماني أمام الأسطول البحري الأوروبي المتحالف في تراجعها في البحر الأبيض المتوسط و فقدان هيبتها في أرجاء أوروبا ، ودقت ناقوس الخطر الذي سيؤدي لانهيار الدولة العثمانية على المدى الطويل وبمرور القرون ، وخاتمة للمصائب و لمركب النقص عند المسيحيين ونهاية التفوق العثماني [1].

أما بخصوص الخسارة الكارثية التي تعرضت لها المملكة البرتغالية في معركة وادي المخازن 1578م ، والتي عجلت بسقوطها وانهيارها ، فعلى غرار الخسائر البشرية الكبيرة في الجيش البرتغالي، فإنها أثرت على مصير المملكة البرتغالية في فترة زمنية قصيرة .

اذ فقدت المملكة البرتغالية كيانها لصالح المملكة الإسبانية سنة 1581م ، حيث بعد حالة الفوضى السياسية الداخلية في أرجاء المملكة البرتغالية ، سعت الدول الأوروبية للإستيلاء على البرتغال وضمها لممتلكاتها ، حيث عمل ملك اسبانيا فليب الثاني للتدخل في شؤونها السياسية و الداخلية ونجح في إدخالها ضمن الاراضي الإسبانية خلال فترة قصيرة من خسارتها في موقعة القصر الكبير [2].

خامسا / الظروف المناخية للمعركة

أثّر العامل المناخي والطبيعي على مجريات المعركتين (معركة ليبانت 1571 م – وادي المخازن 1578م) ونتائجها ، حيث أنهما وقعتا في فصلين مختلفين .

فقد وقعت معركة ليبانت 1571م في فصل الشتاء ، ومع البرد القارس والظروف الصعبة التي شهدها الأسطول العثماني خاصة أنه ظل في البحر لمدة ستة أشهر كاملة خاض فيها معارك وحروب أنهكت الجنود العثمانيين ، إضافة إلى أن الرياح كانت ضد السفن العثمانية ولصالح الأسطول المسيحي [3] .

زيادة على تفشي الأمراض و الوباء في وسط الجند العثماني ونقص المؤونة الغذائية [4] ، وكذا نقص عساكر وطوائف السفائن [5] .

---

[1] نيقولاي إيقانوف : المرجع السابق ، ص 245.

[2] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 469 ، ينظر : سمير عبد الرسول العبيدي : المرجع السابق ، ص 304 .

[3] أبراهيم حليم بك : المرجع السابق ، ص 99.

[4] روبير شوسّوا : المرجع السابق ، ص37.

[5] محمود السيد الدغيم : المرجع السابق ، ص 35 .

إذن ، نقول أن الظروف المناخية كانت لصالح السفن المسيحية ، التي أثرت كثيرا في حسم المعركة لصالح الأسطول الأوروبي المتحالف .

أما بالنسبة لمعركة وادي المخازن 1578م فقد لعبت الظروف المناخية في حسم المعركة لصالح الجيش المغربي ، بما أن الموقعة حدثت في فصل الصيف بالتحديد في شهر أوت سنة 1578م ، إذ أن الظروف الطبيعية والحرارة الشديدة مع الأخذ بعين الاعتبار توقيت المعركة في الظهيرة ، كل هذا جعل المواجهة تنتهي بسرعة [1] ، حيث دامت المعركة أربع ساعات وثلث الساعة ولم يكن النّصر فيها مصادفة ، بل كان لمعنويات عالية نفوس شعرت بالمسؤولية ، ولخطة مدروسة مقرّرة محكمة ، فما هي إلاّ 260 دقيقة فقط حددّت مصير الإمبراطورية البرتغالية [2].

نظرا لأن الجيش المغربي تعوّد على مثل هكذا ظروف وعلى هاجرة المغرب ، عكس الجيش البرتغالي الذي لم يتعود على شدة الحرارة العالية ، وكذا على خوض معارك برية داخلية مما أثر على المقاتلين وانقادوا لهزيمة كبيرة في القصر الكبير [3].

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص ص 86 ، 87 .

[2] شوقي ابو خليل : المرجع السابق ، ص 67 .

[3] جلول بن قومار : المرجع نفسه .

المبحث الثالث

النتائج والآثار

لقد اتفق المؤرخون على أن معركتي ليبانت 1571م – وادي المخازن 1578م ، تعد من أكبر المعارك الذي شهدها حوض الأبيض المتوسط وبلاد المغرب على الترتيب .

إذ أن نتائجها كانت كارثية خاصة ما تعلقت بالخسائر البشرية و المادية ، إنعكست على القوى الإسلامية و المسيحية وتغيير خارطة العلاقات والصراع على مناطق النفوذ على مستوى حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي .

أولا / على القوى الإسلامية

أسفرت معركة ليبانت 979هـ / 1571م عن خسارة قاسية وعظمى للدولة العثمانية و أسطولها البحري أمام الأسطول الأوروبي المسيحي في خليج ليبانت .

إذ خسرت العمارة العثمانية معظم سفنها وعتادها الحربي ، بالإضافة فقدان مكانتها العالمية وسيادتها على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتراجع هيبتها في أرجاء أوروبا .

فقد بلغت خسائر العثمانيين أكثر من 30 ألف قتيل و 8 آلاف أسير ، وتحرير 120 ألف أسير مسيحي ، أخذت 130 سفينة و أحرقت وأغرقت 94 سفينة عثمانية ، وفقدان 190 سفينة و 300 مدفعا [1] ، أما الكتابات الغربية على غرار بول شام فقد حدد خسائر العثمانيين ب 30000 قتيل و 8000 أسير ، وتحرير 12000 أسير مسيحي ، وفقدان 190 سفينة ، أما ماكسونج فقد ذكر أن عدد القتلى تراوح بين 25 و 30 ألف قتيل ، احتجاز 210 سفينة وتحرير 15000 أسير مسيحي ، و3846 أسير [2].

إذن ، نقول بالنظر إلى الأعداد الهائلة من الجنود القتلى في صفوف العثمانيين ، والخسائر المادية الكبيرة في السفن العثمانية وتحطيمها و فقدانها لصالح القوى المسيحية ، فإن نتائج المعركة من الناحية البشرية و المادية و المعنوية أثرت كثيرا في القوة العسكرية البحرية العثمانية في البحر الابيض المتوسط .

[1] محمد فريد بك المحامي : المرجع السابق ، ص 257.

[2] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 419.

أما معركة وادي المخازن أو القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة التي جرت وقائعها سنة 986 هـ / 1578م بين الجيش المغربي بقيادة السلطان عبد الملك المعصتم بالله السعدي ، والجيش البرتغالي بقيادة الملك الضون سيبستيان ، إنتهت بتحقيق الجيش المغربي نصرا مأزرا على الجيش البرتغالي ، الذي انقاد لهزيمة شنعاء و خسر فيها الضون سيبستيان جميع مقاتليه .

فقد استطاع السعديين توحيد المغاربة و أراضيها تحت الحكم السعدي ، فقد تولى السلطان أحمد المنصور عرش الدولة السعدية بعد وفاة أخيه السلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي في معركة وادي المخازن 1578م [1] ، والتي تعتبر الخسارة الوحيدة للجيش الإسلامي المغربي الذي خيّم الصمت و الحزن و الأسّى عليه ، إذ فقدت الأسرة السعدية الحاكمة و الشعب المغربي أبرز رجاله وسلاطينه العظماء في تاريخ المغرب الحديث [2].

كما شهدت بلاد المغرب بعد موقعة وادي المخازن 1578م قيام السلطان أحمد المنصور السعدي بإصلاحات شملت مختلف المجالات العسكرية والاقتصادية و الثقافية [3].

من هنا نقول بأن نتائج المعركتين على القوى الإسلامية اختلفت آثارها البشرية و المادية على الطرف الإسلامي المشارك فيها ، بحيث أن الهزيمة كانت حليفة العثمانيين في واقعة ليبانت 1571، بينما حالف النصر المغاربة في موقعة وادي المخازن 1578م والذي ساهم في تطور المغرب في شتى المجالات .

ثانيا / على القوى المسيحية

حققت القوى الأوروبية المسيحية نصرا عظيما في معركة ليبانت 1571م على حساب القوة الإسلامية ممثلتا في الدولة العثمانية ، فقد أدى نجاح الحلف المسيحي الأوربي إلى تصويب الأنظار و إهتمام أوروبا [4].

فقد غنم الأوربيون في هذه المعركة 117 مدفعا كبيرا ، 256 مدفعا صغيرا صالحة للاستعمال، واستولوا على ثلاث شارات لبورتو باشا وراية مؤذن زاده الحريرية المطرزة بالذهب ،

---

[1] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص ص 69 , 70.

[2] زهر الدين صالح : **موسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى 1968م** ، ط1، تق : اللواء الركن رياض تقي الدين ، العماد مصطفى طلاس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان ، 2000 ، ص 818.

[3] سمير عبد الرسول العبيدي : المرجع السابق ، ص 304 .

[4] أحمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في القرن 16م** ، المرجع السابق ، ص 148.

إضافة إلى تمكّن المسيحيين من تحرير أكثر من 30 ألف من الأسرى المجدفين المسيحيين [1].

أنهى النصر المحقق للمسيحيين في معركة ليبانت 1571م فرضية عدم إمكانية القضاء على العثمانيين، فقد ذكر نيقولاي إيقانوف نقلا عن سيرفانتس الإسباني في معركة ليبانتو تبديدا ، للضلال المنتشر في العالم كله ، فباتت جميع الشعوب تظن أن العثمانيين لا يقهرون في البحر[2]، إضافة إلى الثأر من العثمانيين لخسارتهم لجزيرة قبرص سنة 978 هـ / 1570م [3] ، كما اعتبرت نهاية الخطر العثماني في القارة الأوروبية [4].

لكن يرى يلماز أوزتونا أن هذا الانتصار لم يحقق للمسيحيين والدول المسيحية أدنى مكسب[5]، إذ أن إنتصار المسيحيين في معركة ليبانت 1571م يعتبر انتصارا عقيما لأنه لم تعرف له ثمرات عادت بالفائدة على دول التحالف أو على أوروبا ، الإكتفاء بالاحتفال بالنصر المحقق في كامل أرجاء أوروبا المسيحية [6].

بالإضافة إلى أن البندقية خرجت عن الحلف بعقد معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية بواسطة السفير الفرنسي في 3 مارس 1571م، وأرغمتها بالإستناد على بنود المعاهدة بدفع جزية مقدارها 1500 دوكا ، كتعويضات عن خسائرها في قبرص ، والتنازل عنها للدولة العثمانية بشكل كامل[7].
أما معركة وادي المخازن 986 هـ / 1578م فشهدت هزيمة مذّلة وكارثية للجيش البرتغالي فقد خلالها جميع جنوده ، حيث شملت الخسائر المادية و البشرية .

حيث قدرت الخسائر البشرية في صفوف الجيش البرتغالي ب 14 الف قتيل و 20 ألف أسير ، في حين ذكر الفشتالي أن عدد القتلى والأسرى بلغ 80 ألف رجل [8].

بعد هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن 1578م ، أضاعت استقلالها السياسي بعد ذلك، فعندما مات الملك الكاردينال العجوز " هنري " في فيفري من عام 1580م ، دخلت البلاد في فوضى عارمة واستفحلت فيها أزمة جديدة ، ألا وهي وراثة العرش ، لأن الملك الراحل سيبستيان لم

---

[1] سعيد سعدية علي البيشي : المرجع السابق ، ص 184 ، ينظر :سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 137.
[2] نيقولاي إيقانوف : المرجع السابق ، ص 245.
[3] سعيد سعدية علي البيشي : المرجع نفسه .
[4] خليل إينالجيك : المرجع السابق ، ص 68 .
[5] يلماز أوزتونا : المرجع السابق ،ص 375 .
[6] سعيد سعيدية علي البيشي : المرجع السابق ، ص 195.
[7] نيقولاي إيقانوف : المرجع نفسه ، ينظر : سعيد أحمد برجاوي : المرجع السابق ، ص 139 .
[8] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص 187.

يترك عقبا يخلفه لعدم زواجه ، وقد ترك الملك هنري قبل وفاته وصية ، مفادها أن يتولى الملك الإسباني فليب الثاني عرش البرتغال ، وقد لاقى من جراء ذلك معارضة من أفراد الأسرة الحاكمة ومنهم الأمير الدون انطونيو [1]دخل لشبونة فاتحا يوم 16 مارس 1581م ، وأعلن انضمام عرش البرتغال لإسبانيا [2].

من خلال ما سبق نقول بأن كلا المعركتين (ليبانت 1571 – وادي المخازن 1578م) عرفت تباينا في نتائجها وآثارها على القوى الأوروبية المسيحية ، بحيث أن نتائج معركة ليبانت 1571م شهدت تحقيق القوى المسيحية نصرا عظيما وباهرا على الأسطول الإسلامي العثماني الذي خسر منظومته العسكرية وهيبته في حوض البحر الأبيض المتوسط ، بحيث إستفادت دول التحالف الأوروبي المسيحي من المعدات الحربية من السفن و المدافع لتدعيم أسطولها ، إضافة إلى أنها نزعت حاجر الهيبة من الأسطول العثماني الذي أرعب أوروبا ، وتفنيد المعتقد السائد باستحالة التغلب على القوة البحرية العثمانية في أرجاء حوض البحر الأبيض المتوسط .

أما بالنسبة لنتائج معركة وادي المخازن 1578م فقد منيّ الجيش البرتغالي المسيحي بهزيمة مذلة أمام الجيش المغربي الإسلامي هزّت أرجاء المملكة البرتغالية خاصة و أوروبا عامة ، فقد خسرت المملكة البرتغالية المسيحية جميع قواتها ومعداتها الحربية ساهمت في إضعافها وأثّرت نتائجها وآثارها على مخططات القوى الأوروبية المسيحية الرامية للإستيلاء على كافة الأراضي المغاربية و الثغور الساحلية الاستراتيجية الهامة في الساحل المغاربي.

ثالثا / على العلاقات و موازين القوى العالمية

لم تقتصر مخلفات المعركتين (معركة ليبانت 1571م – معركة وادي المخازن 1578م) على الجانب المادي والبشري فقط ، بل تعدته إلى التّغيير في الخارطة السياسية و مسار العلاقات الدولية وطبيعتها، وكذا موازين القوى في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط و الساحل المغاربي .

بحيث خلقت معركة ليبانت 979 هـ / 1571م توازن عسكري بين الشرق والغرب استمر حتى عام 1683م ، بحيث وضع ملك إسبانيا فليب الثاني مخططات و اهداف تتمثل في حرمان العثمانيين من ممتلكاتهم و مواقعهم في الشمال الإفريقي وتدمير قلاعهم ، بحيث أراد فليب الثاني تحييد إفريقيا الشمالية وجعلها لا عثمانية ولا إسبانية [3].

[1] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 182.

[2] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 477.

[3] نيقولاي إيقانوف : المرجع السابق ، ص 245.

فقد احتفلت أوروبا بهذا النصر واعتبرته نهاية الخطر العثماني الذي يحذق ويهدد الدول الأوروبية المسيحية [1] ، و انطلاقة للصليبية الأوروبية في مخططاتها الساعية لإسترجاع الاراضي المفقودة لصالح العثمانيين و إنهاء السيطرة العثمانية على البحر الأبيض المتوسط .

إذ تجسدت في نوايا فليب الثاني في الاستثمار في النصر المحقق لشن حرب صليبية تشمل المعاقل و المراكز و المدن الساحلية و الثغور الاستراتيجية الهامة في الساحل المغاربي ، من خلال إستيلاء الدون خوان النمساوي سنة 981 هـ / 1573م و تمكنه من استرجاع تونس كرد فعل عسكري للإسبان خصوصا و والأوروبيين عموما [2] ، اعتبره المؤرخون هجوما محدودا على البلاد التونسية [3] .

إضافة إلى مساعي البابا بيوس الخامس في كسب صداقة الدول الإسلامية المعادية للدولة العثمانية لتفريقها وإضعاف القوى الإسلامية ، فبعث كتابا في سنة 1571م إلى شاه إيران طهماسب جاء فيه : " **ليكن بعملك أن القدر يدعوك بواسطتنا للاشتراك في تقبل النصر بدلا من أتعاب الحرب لأنك لن تجد فرصة مناسبة أو وقتا أفضل من هذا الوقت التي ستكون فيه القوى العثمانية مهاجمة من كل ناحية** " ، إضافة إلى أنه أرسل كتابا آخر إلى ملك الحبشة ، وأمير مكة ، والإمام الزيدي في اليمن بواسطة البرتغاليين يعرض عليهم الأمر [4].

وعلى الرغم من هذا فإن بعض المؤرخين الاوروبيين وعلى راسهم فولتير ذهبوا بأن معركة ليبانت سنة 979 هـ / 1571 م ، لم تكن هزيمة ساحقة للعثمانيين ونصرا حاسما للأوروبيين بل تعد انتكاسة مؤقتة للأسطول البحري العثماني لم تتعدي خسارته إلا من الناحية المادية والبشرية سرعان ما عوضته من خلال إعادة بناء أسطول جديد قوي بأحدث الأسلحة بقيادة القبودان القلج علي باشا[5].

أما بخصوص معركة وادي المخازن 986 هـ / 1578م ونتائجها و إنعكاساتها على الصعيد السياسي الدولي ، والصراع الإستراتيجي العسكري حول مناطق النفوذ في حوض البحر الأبيض المتوسط والساحل المغاربي .

---

[1] خليل إينالجيك : المرجع السابق ، ص 68 .

[2] احمد سالم : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في القرن 16 م** ، المرجع السابق ،ص 149 .

[3] نيقولاي إيقانوف : المرجع نفسه .

[4] سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 192 .

[5] سعدية سعيد علي البيشي : المرجع السابق ، ص 193 .

فقد اسفرت الموقعة عن نتائج بعيدة الأثر سياسيا ، واجتماعيا و اقتصاديا ، فقد نقلت المغرب نقلة نوعية في تاريخه الحديث ، وانعكست نتائجها على العلاقات الدولية في تلك الحقبة ، فأصبح المغرب ليس ذلك القطر التي تصارعت من أجله القوى الدولية المجاورة ، كمنطقة نفوذ حيوية، بل اكتسب من القوة السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ،ما أهله أن يلعب دورا بارزا مع القوى التي هيمنت على البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس عشر[1].

اعطت للمغرب زخما سياسيا قويا ، لدى دول العالم ، فتهاطلت عليه الهدايا ، ووجهوا له السفارات ، و البعثات وأخذ المغرب يقوم بدور بارز في السياسة العالمية [2]، التجارة الدولية وتسابقت الدول الاوروبية للفوز بالتعامل معه ، والحصول منه على امتيازات تجارية [3].

بويع أحمد المنصور بالله (الذهبي) بعد انتصار وادي المخازن ، بعد الفراغ من القتال بميدان المعركة كتب إلى القسطنطينية مقرّ السّلطنة العثمانية ، يعلم السُلطان مراد خان الثالث العثماني ، وإلى سائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب ، يعلمهم بما أنعم الله عليه من نصر حاسم عظيم ، وإخفاق الغزو البرتغالي الصَليبي لأرض المغرب ، واستئصال شأفته ، فوردت عليه من سائر الأقطار مهنئين مباركين له بما فتح الله عز وجل على يده ، وكان أول الوفود من أقرب الأقطار من الجزائر ، ثم قدمت رسل السُلطان العثماني ومعهم هديته [4].

بعد هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن 1578م ، أضاعت استقلالها السياسي بعد ذلك ، فعندما مات الملك الكاردينال العجوز " هنري " في فيفري من عام 1580م ، دخلت البلاد في فوضى عارمة واستفحلت فيها أزمة جديدة ، ألا وهي وراثة العرش ، لأن الملك الراحل سيبستيان لم يترك عقبا يخلفه لعدم زواجه ، وقد ترك الملك " هنري " قبل وفاته وصية ، مفادها أن يتولى الملك الإسباني فليب الثاني عرش البرتغال ، وقد لاقى من جراء ذلك معارضة من أفراد الأسرة الحاكمة ومنهم الأمير دون انطونيو ، [5] دخل لشبونة فاتحا يوم 16 مارس 1581م ، وأعلن انضمام عرش البرتغال لإسبانيا [6] .

---

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 86 ، ينظر : شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، 183.

[2] سعيد أعراب : المرجع السابق ، ص 96.

[3] عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق : ص 36.

[4] شوقي أبو خليل : المرجع السابق ، ص 69-70.

[5] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 182.

[6] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 477.

كان من أثر تحقيق الإنتصار أن دفعت الأحداث العالمية بالمغرب بعد أن قطفت ثمار النصر الباهر في معركة القصر الكبير أن تحوّل دوره من الدفاع الداخلي في علاقات المغرب الدولية إلى دور يدفع المغرب إلى شغل موقع فعال في العلاقات الدولية بعد أن علت هيبة السعديين في العالم الإسلامي ، بإعتبارهم قد دافعوا عن ترابهم المقدس و حفظوا وصانوا كيان المغرب بشكل خاص والإسلام والمسلمين بشكل عام .

أظهرت المعركة قوة حكام المغاربة في حفظ التوازن بين قوى الشرق والغرب ، مما جعل للمغرب دورا بارزا في السياسة العالمية ، بالإضافة أنها عادت على السلطان أحمد المنصور بالشهرة والثروة إستغلها في تأسيس إمبراطورية في غرب إفريقيا ، لينافس بذلك أكبر إمبراطوريتين في تلك الفترة هما : الإمبراطورية التركية العثمانية والإمبراطورية الإسبانية [1].

إن واقعة وداي المخازن 986هـ/ 1578م انسحبت آثارها على العلاقات الدولية الأوروبية بشكل أكثر مما هو متوقع كمعركة محلية ، فقد تغيرت نظرة الدول الأوروبية كلها للمغرب ، بل جعلتها وهي التي كانت تندفع بحماس إلى المشاركة في حملات صليبية ، إلى أن تعيد النظر قبل ان تقدم على تكرار ذلك ، لذا فتحت معركة وادي المخازن صفحة جديدة من الحوار والتعايش السلمي بين المغرب و أوروبا [2].

أدت هزيمة البرتغال في معركة وادي المخازن 1578م إلى تنبيه القوى الأوروبية الأخرى مثل الهولنديين و الإنجليز و الفرنسيين إلى أهمية المستعمرات البرتغالية ، ومناطق نفوذهم ومصادر ثروتهم فراحت بريطانيا تضع الخطط لتحطيم إسبانيا ، و البرتغال ، عسكريا وسياسيا بغرض الهيمنة على مستعمراتها ، ومن ثم إخضاع ممتلكاتها لنفوذ التاج البريطاني ، سواء في أمريكا الآتينية، أو الوجود البرتغالي في فاس ، بعدما تحالفت الملكة "إليزابيث " مع الشاه " عباس الصفوي " وتمّ بذلك تصفية الوجود البرتغالي في هذه المناطق [3].

إذن يمكن القول بأن معركتي (معركة ليبانت 979 هـ / 1571م – وادي المخازن 986هـ / 1578م) ، تعد إحدى المعارك الكبرى خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بين القوى الإسلامية التي مثلتها الدولة العثمانية و الدولة السعدية ، والقوى المسيحية التي مثلتها دول التحالف الأوروبي المسيحي والمملكة البرتغالية ، حيث تعبر المعركتين إمتدادا للحملات الصليبية ضد

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ، ص ص 188 ، 189 .

[2] سمير عبد لرسول العبيدي : المرجع السابق ، ص 305.

[3] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 534.

العالم الإسلامي ومنطقة المغارب ، فقد جاءت الحملات المسيحية على كيانات الإسلامية بدعم ومباركة الكنيسة ؛ إذ عرفت نتائجها آثارا و إنعكاسات غيرت من الخارطة السياسية الدولية ، وتغيير موازين القوى في إطار الصراع على المناطق الإستراتيجية الهامة في حوض البحر الابيض المتوسط و الساحل المغاربي .

نتائج الفصل :

من خلال داستنا للفصل ، توصلنا إلى النتائج التالية :

- تشترك المعركتان في أنهما أكبر معارك القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي والفترة الحديثة.

- إن التعداد العسكري للمعركتين يبرز بأنهما من أكبر المعارك الكبرى خلال القرن السادس عشر .

- تعد المعركتين إمتدادا للحروب الصليبية والصراعات الدينية بين القوى الإسلامية و المسيحية، وقد أثر العامل الديني على طبيعة الصراعات بين الإسلام و المسيحية .

- لقد سعت الأطراف المتصارعة في كلا المعركتين إلى توسيع رقعتها الجغرافية وكسب أراضي جديدة ضمن ممتلكاتها و المحافظة على نفوذها في حوض البحر الأبيض المتوسط و الساحل المغاربي.

- تميزت بمشاركة الأتراك العثمانيين في إيالة الجزائر في أطرافها ودورهم البارز في التأثير على مصيرها.

- إختلاف المعركتين في أمكنة مجرياتها ، حيث أن معركة ليبانت 1571م جرت أطوراها في خليج ليبانت باليونان في شرق البحر الأبيض المتوسط ، بينما وقعت أحداث معركة وادي المخازن 1578م بالقصر الكبير في أقصى الساحل المغاربي .

- تميزت معركة ليبانت 1571م بأنها بحرية حدثت في البحر المتوسط ، بينما موقعة وادي المخازن 1578م معركة برية ، جرت اطوارها في دواخل المغرب بالتحديد في القصر الكبير.

- تميزت الواقعتين في تباين قيمة الخسائر البشرية ، إذ فقدت الدولة العثمانية شخصيات من أبرز رجالات الدولة العثمانية ، لكن لم يكونوا بنفس قيمة فقدان ثلاث ملوك في معركة واحدة .

- ساهمت الأولى في بداية العد التنازلي لإنهيار الدولة العثمانية على المدى الطويل ، بينما الثانية فقدت المملكة البرتغالية استقلالها لصالح إسبانيا سنة 1581م .

- ساهمت الظروف الطبيعية باختلاف فصول السنة في التأثير على نتائجها ، إذ ساهم البرد القارص في الفصل الشتاء في إنهاك الجنود البحرية العثمانية ، بينما أثر الحر الشديد للمغرب في القدرة القتالية للجيش البرتغالي .

- تكمن العلاقة المشتركة بين المعركتين في الإنعكاسات التي خلفتها بأنها غيّرت الأوضاع الداخلية والخارجية للقوى الإسلامية و المسيحية ، بالإضافة إلى إعادة توجيه مسار العلاقات الدولية و موازين القوى العالمية في إطار الصراع الدائم و المستمر بين الإسلام و المسيحية على السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط و الساحل المغاربي .

خاتمة

خاتمة

في ختام موضوع دراستنا الموسوم بعنوان " **معارك القرن السادس عشر الكبرى معركة ليبانت – معركة وادي المخازن (1571م – 1578م) – دراسة مقارنة –** " ، حيث توصلنا إلى جملة من النتائج و الاستنتاجات نوجزها في مايلي :

- تعد المعركتين من أبرز معارك القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي و الفترة الحديثة.
- تجدد الحملات الصليبية على العالم الإسلامي خلال الفترة الحديثة في إطار الحروب الدينية والصراع بين الإسلام والمسيحية .
- بروز إسبانيا كقوة بحرية كمنافس للدولة العثمانية على مستوى حوض البحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر .
- شكل الفتح العثماني لجزيرة قبرص سنة 1570م إنجازا كبيرا يضاف إلى جهود العثمانيين في إعلاء راية الإسلام في أرجاء أوروبا ، الذي كان سببا في إشعال فتيل الحرب بين قوى التحالف الأوروبي المسيحي بزعامة الكنيسة و الدولة العثمانية .
- تعد معركة ليبانت 1571م حدثا حاسما في تغيير موازين القوى العالمية ، وإعادة رسم الخارطة السياسية في مجالات العلاقات الدولية .
- مثلت هزيمة العثمانيين في معركة ليبانت 1571م بداية النهاية للوجود العثماني كقوة عالمية عظمى على المدى البعيد .
- شكلت معركة وادي المخازن سنة 1578م مظهرا من مظاهر الحروب الدينية و التحرشات المسيحية على المناطق الإسلامية .
- أنهت الموقعة أهداف و مخططات البرتغالية في الإستيلاء على منطقة الساحل المغاربي .
- مثل انتصار المغاربة في موقعة وادي المخازن دليلا على التنظيم الجيد و التخطيط المحكم و المعنويات العالية المدعومة من العلماء ورجال الدين .
- تمثل موقعة القصر الكبير من ابرز الانتصارات الإسلامية الخالدة في التاريخ ، والتي وحدت الأطراف المتصارعة بالأمس ضد القوى المسيحية .
- رغم الإنتصار المحقق للمغاربة السعديين إلا أنهم لم يستغلوه في استرجاع الثغور الساحلية المغاربية .

- أسهمت الموقعة في دخول المملكة البرتغالية في صراعات و إضرابات داخلية سياسية حول العرش الملكي إنتهت بفقدان سيادتها لصالح إسبانيا سنة 1581م .

- أعطت المعركة المغرب مكانة في العلاقات الدولية من خلال تسابق الدول الأوروبية لعقد صداقة معه ، وإعطاء صبغة رسمية للعلاقات في مختلف المجالات .

- تشترك معركتان في أنهما من ضمن أكبر المعارك خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، ومن بين الصدامات العسكرية بين القوى الإسلامية و المسيحية بخلفيات دينية .

- توافقت الموقعتان في نتائجها البشرية و المادية ، و تأثير مشاركة أتراك إيالة الجزائر في تحديد أحداث و مخلّفاتها .

- اختلفت الواقعتان في أماكن حدوثها و ظروفها الطبيعية وتأثيرها ، و كذا خلفياتها و طبيعتها، وقيمة خسائرها البشرية.

- أحدثت الاثار و الإنعكاسات تغييرا في موازين القوى العالمية بخلق توازن في المجال العسكري بين الشرق و الغرب بتراجع الدولة العثمانية و فقدان هيبتها العسكرية و بروز الدولة السعدية .

في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في الإلمام بكافة جوانب الموضوع ، الذي تطلب منا جهدا كبيرا وتمحيص دقيق ، نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المصادر والمراجع

1- المصادر :

المصادر العربية :

- الأفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله : **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، تر : هوداس ، باريس – فرنسا ، 1888، ص 65 .
- أفندي بجوى إبراهيم : **التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني** ، تر وتق : ناصر عبد الرحيم حسين ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة – مصر ، 2015 .
- ابن ابي دينار : **المؤنس في أخبار أفريقية وتونس** ، ط1، المطبعة التونسية ، تونس 1870
- الفشتالي أبي فارس عبد العزيز : **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح : عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ، الرباط – المملكة المغربية ، د.ت .
- المجهول : **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية** ، ط1 ، تق و تح : عبد الرحمان بنحادة ، دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش – المغرب ، 1994 .

المصادر المعربة :

- روسو ألفونص : **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تر و تح : محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي – ليبيا ، د.ت
- طوريس دييغو دي : **تاريخ الشرفاء** ، تع : محمّد حجّي ، محمّد الأخضر ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 1988 .
- كربخال مارمول : **إفريقيا** ، ج3، تر : محمد حجي ، مكتبة المعارف ، الرباط – المغرب ، 1984 .

المصادر الأجنبية :

- **henry DE CASTRIE : Les sources Inédites de Maroc Dynastie Saadienne** , Archives et bibliothèques d'Angleterre, TI , Ernest Leroux, Paris, 1918.
- Ernest Charrière : **Négociations de la France dans levant** ,imprimerie impériale, paris, t3.

- Haedo. F Diogo de : **Histoire des rois d'Alger** , Tra : H.-D. De Grammont, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Librairie,Alger, 1824.

2- المراجع :

- أحمد رمضان أحمد : **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط " العصر الوسيط" (35هـ-655م / 978هـ-1571م)** ، وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية ، القاهرة،1986.

- إلتر عزيز سامج : **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، ط1، تر : محمود علي عامر، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، 1989.

- أوزتونا يلماز : **تاريخ الدولة العثمانية** ، تر: عدنان محمود سلمان ، م1 ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا ، 1988.

- ايقانوف نيقولاي : **الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574**، تر : يوسف عطا الله ، ط1 ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، 1988.

- اينالجيك خليل : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، تر : محمد الأرناؤوط، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 2002

- برجاوي سعيد أحمد : **الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري** ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان، 1993.

- بوشرب أحمد : **وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه** ، ط1، دار الأمان ، الرباط 1997.

- التازي عبد الهادي : **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ، م 8 ، مطابع فضالة ، المحمدية – المغرب ، 1988.

- التميمي عبد الجليل : **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين** ،مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق والمعلومات ، زغوان – تونس ، 1989.

- حتامله محمد عبده : **التهجير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملك فليب الثاني 1527-1598م** ، ط 1 ، الجامعة الأردنية ، عمان – الأردن ، 1982.

- حسّون علي : **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية** ، ط3، دار المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، 1994.

- حركات إبراهيم : **المغرب عبر التاريخ** ، م 2 ، ط 1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء – المملكة المغربية ، 1978.

- حليم بك ابراهيم : **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية** ، ط1، مطبعة ديوان عموم الأوقاف ، د.م ، 1905.

- حنظل فالح : **العرب والبرتغال في التاريخ** ، ط 1 ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي – الإمارات المتحدة ، 1997 .

- حومد أسعد : **محنة العرب في الأندلس** ، ط 2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت –لبنان ، 1988.

- أبو خليل شوقي : **وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير** ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، 1988.

- خير فارس محمد : **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** ، ط1 ، كلية الآداب- جامعة دمشق ، دمشق – سوريا ، 1969.

- رضوان نبيل عبد الحي : **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، ط1، مكتبة الطالب الجامعي ، السعودية ، 1988.

- سالم أحمد : **استراتيجية الفتح العثماني** ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية – مصر، 2012 .

- سالم أحمد : **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16** ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية – مصر ، 2011، ص 145.

- السيد محمد سيد : **تاريخ الدولة العثمانية وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة** ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة – مصر ، 2008 .

- الشناوي عبد العزيز محمد : **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، ج2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة – مصر ، 2004 .

- شواسّوا روبير : **المعارك البحرية الكبرى في تاريخ** ، تر: عبد الرحمن حميدة ، مركز الدّراسات العسكرية دمشق – سوريا ، 1984.

- صالح زهر الدين : **موسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى 1968م** ، ط1، تق : اللواء الركن رياض تقي الدين ، العماد مصطفى طلاس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان، 2000.

- طويل امحمد : **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرمانلي** ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ، 2002.

- عبّاد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 ، دار هومه ، الجزائر ، 2012.

- علي عامر محمود ، خير فارس محمد : **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى – ليبية)** ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا ، 200

- الغنيمي عبد الفتاح مقلد : **موسوعة تاريخ المغرب العربي** ، ج6 ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة – مصر ، 1994.

- بن قومار جلول : **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال – إسبانيا – فرنسا (986هـ – 1578م / 1012هـ – 1603م)** ، ط1 ، تق : صالح بوسليم ، مطبعة شريف . م ، غرداية – الجزائر ، 2022.

- كريم عبد الكريم : **المغرب في عهد الدولة السّعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية** ، ط1 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط – المملكة المغربية ،

- متولي أحمد فؤاد : **تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي** ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، 2005 .

- المحامي فريك بك محمد : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة – مصر ، 2012.

- مصطفى أحمد عبد الرحيم : **في أصول التاريخ العثماني** ، ط 4، دار الشروق ، القاهرة – مصر ، 1986 .

- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد : **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج 5 ، تح : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء – المغرب ، 1955.

- وولف جون -ب - : **الجزائر و أوروبا 1500-1830**، طبعة خاصة ، تر و تع : ابو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 .

المراجع الأجنبية :

- Falloux Le Comte de: **Histoire de Saint Pie V Pape de l'ordre des frères prêcheurs**, t.2, 3è, ed: Amboise Bray, Libraire-éditeur, Paris, 1858.
- Henri Delmas De Grammont : **Histiore d'Alger sous la Domination Turque 1515-1830,** présentation de Lemnaouar Marouche, Editions Bouchene, 2002 .

المقالات :

- أعراب سعيد : " **موقعة وادي المخازن وانحدار الصليبية بالمغرب** " ، في مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ع 8 ، 1978
- تركي عباس : **إضاءات حول شخصية بيلرباي الجزائر قليج علي 1568–1587**، في مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، مج 2 ، ع 4 ، جويلية 2020
- الدغيم محمود السيد : "**أضواء على البحرية الاسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)** " ، في مجلة البحوث والدراسات ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، 6-8 / نوفمبر / 1994 .
- زريوح زين العابدين : " **ذاكرة وادي المخازن 1578م بين المصادر المحلية و الأجنبية**"، في مجلة رؤى التاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، م 1 ، ع 1 ، 2020/06/28
- سحابات زهيرة : "**جهود العلج علي باشا في عثمنة تونس على ضوء مهمة دفتري** "، في مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية في شمال إفريقيا ، مج 06، ع 01 ، 31 /جانفي / 2023 .
- الشافعي درويش : " **دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)** "، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية ، مج 5 ، ع 2 ، ديسمبر 2020
- العبيدي سمير عبد الرسول : **واقعة وادي المخازن 1578**، في مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية الدولية / قسم الدراسات التاريخية ، م 10 ، ع 37 ، 2019/09/18،
- فكاير عبد القادر : **دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571** ، في مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، عدد 9 ، ديسمبر 2014 .
- المودن موسى : **معركة وادي المخازن بالقصر الكبير – معركة المصير –** ، في مجلة ليسكوس ، ع 35، أكتوبر – 2020 .

الرسائل و المذكرات الجامعية :

- بوديسة عبد الحق : **معركة ليبانت 1571م وأثرها على العلاقات في العالم المتوسطي خلال القرن 16م** ، مذكرة ماستر ، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، إشراف خير الدين شترة ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، الجزائر، 2015-2016 .
- البيشي سعدية سعيد علي : **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** ، مذكرة ماجستير ، تخصص التاريخ الإسلامي الحديث ، إشراف عبد الجواد صابر اسماعيل ، جامعة أم القرى، السعودية ، 1997.
- حمادي سميرة : **علج علي باشا أمير أمراء الجزائر (1508–1587م)** ، مذكرة ماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، إشراف حسين محمد شريف ، جامعة محمد بوضياف المسيلة – الجزائر ، 2015-2016 .
- زيارة سامية : **الجهاد البحري في الجزائر العثمانية (902هـ–1520م/ 1209هـ–1827م)** ، مذكرة ماستر ، تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، إشراف دوبالي خديجة ، جامعة ابن خلدون –تيارت – الجزائر ، 2013-2014 .
- زياني ريم : **الجالية الموريسكية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي بالجزائر 1492– 1830م** ، مذكرة ماستر ، التاريخ الحديث ، إشراف بطراوي مصطفى ، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة – الجزائر ، 2018-2019.
- بن قومار جلول : **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال – إسبانيا – فرنسا (986هـ–1578م / 1012هـ–1603م)** ، مذكرة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث ، إشراف : عمار بن خروف ، غرداية – الجزائر ، 2010-2011.
- مبروك سامية : **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16م – معركة ليبانت 1571**- انموذجا ، مذكرة ماستر ، تاريخ الجزائر الحديث ، إشراف عاشور قويدر ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، الجزائر ، 2018-2019 .
- بن نذير عبير ، قباني خديجة : **معركة ليبانت 979هـ/1571م وأثرها على الأوضاع في الجزائر** ، مذكرة ماستر ، تخصص المغرب العربي الحديث ، إشراف الشيخ لكحل ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2019-2020 .

المعاجم والقواميس :

- البعلبكي منير : **معجم أعلام المورد** ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، 1992.
- صابان سهيل : **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000 .

الملاحق

الملحق رقم 01 : خريطة موقع جزيرة ليبانت[1]

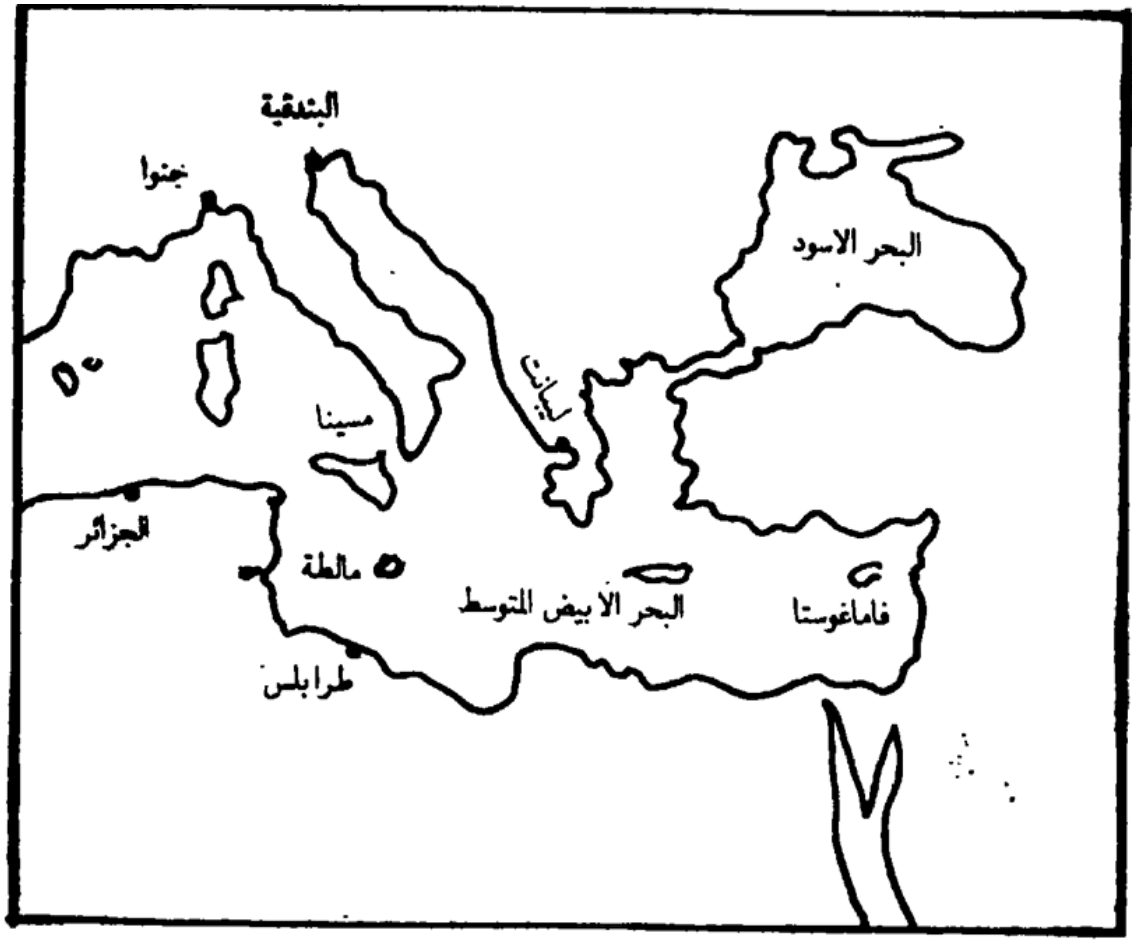

[1] روبير شوسوا ، المرجع السابق ، ص 34.

الملحق رقم 02 : مخطط معركة ليبانت 1571 حسب فيرناندو بيرتيللي [1]

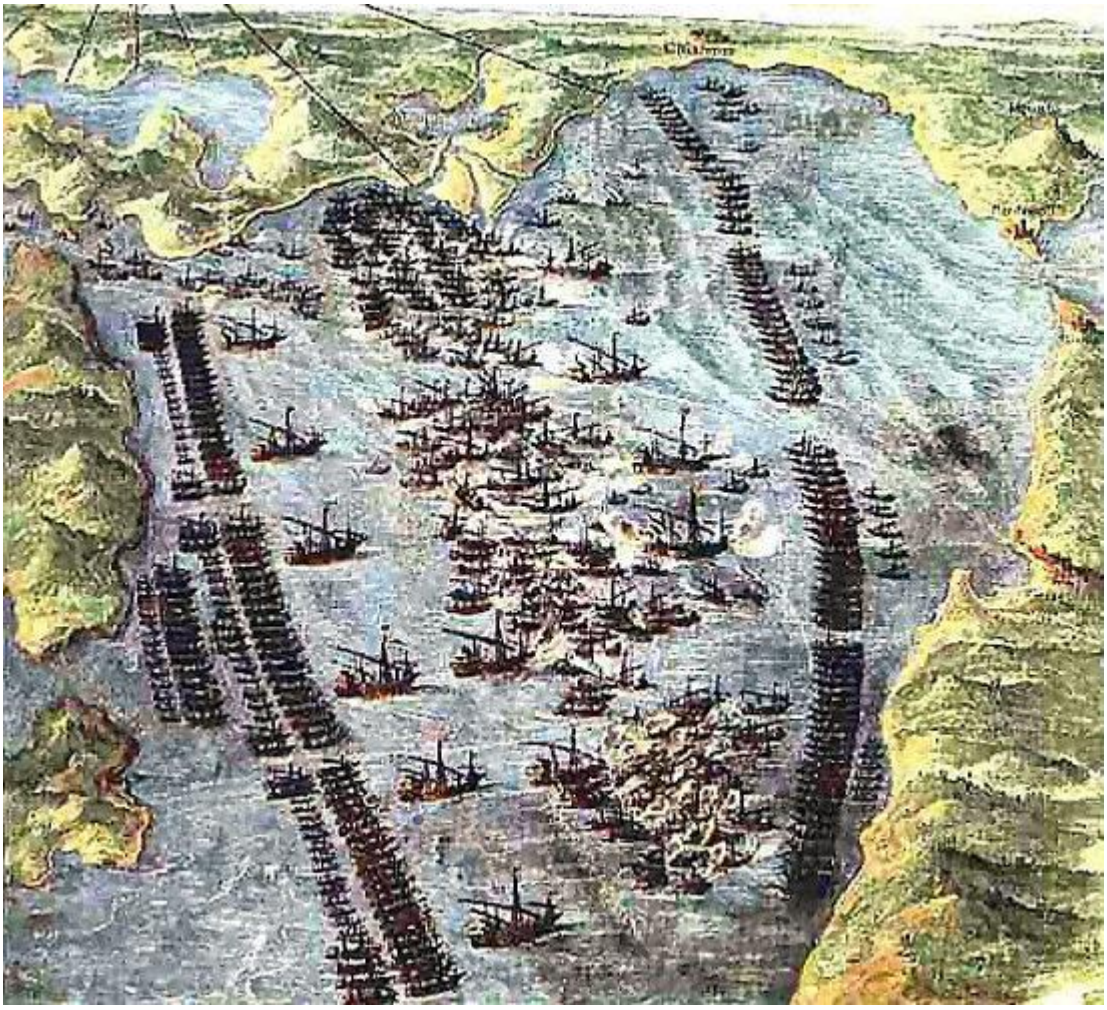

[1] عبد القادر فكاير ، المرجع السابق ، ص 422 .

الملحق رقم 03: وضعية الجيشين المغربي و البرتغالي على ميدان المعركة [1]

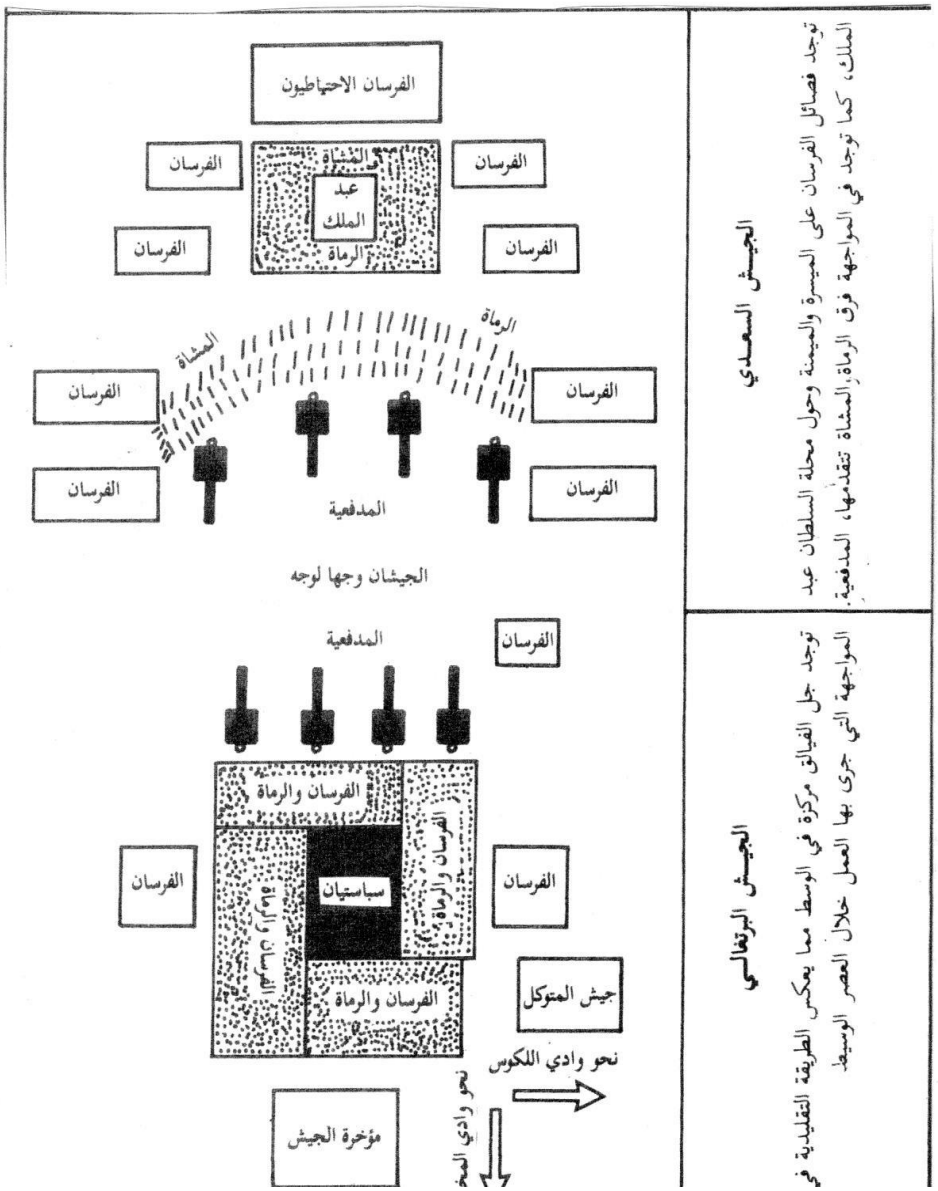

[1] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 147.

الملحق رقم 04 : لوحة تمثل معركة وادي المخازن[1]

[1] موسى المودن : المرجع السابق ، ص 43.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	11
الفصل الأول: معركة ليبانت 979هـ / 1571م الأسباب – المجريات – النتائج	
تمهيد	20
المبحث الأول : أسباب المعركة	21
أولا / الحصار العثماني لجزيرة مالطة 973هـ / 1565م	21
ثانيا / الدعم العثماني لثورة الموريسكيين 976– 978هـ / 1568–1570م	25
ثالثا / التحرير العثماني لتونس 977هـ / 1569م	27
رابعا / الفتح العثماني لجزيرة قبرص 978 هـ / 1570م	29
المبحث الثاني : مجريات المعركة	34
أولا / نداء البابا وتشكيل التحالف المسيحي 978هـ / 1570م	34
ثانيا / نداء السلطان العثماني لحكام الإيالات العثمانية 978هـ /1571م	35
ثالثا / عقد القيادة العثمانية للمجلس الحربي	36
رابعا / الاستعدادات المسيحية للمعركة	37
خامسا / الاستعدادات العثمانية للمعركة	38
سادسا / اندلا ع المعركة	39
المبحث الثالث : نتائج المعركة	41
أولا / نتائج المعركة على العثمانيين	41
ثانيا / نتائج المعركة على المسيحيين	42
ثالثا / إعادة بناء الأسطول العثماني	43
رابعا / إلحاق تونس بالدولة العثمانية 982هـ / 1574م	44
نتائج الفصل	47

الفصل الثاني: معركة وادي المخازن 1578م الأسباب – المجريات – النتائج	
تمهيد	49
المبحث الأول: الأسباب	50
أولا / انهزام العثمانيين في معركة ليبانت 979هـ /1571م	50
ثانيا / الضّائقة الإقتصادية للبرتغال	50
ثالثا / تحرشات الضون سيبستيان بالمغرب الأقصى قبل معركة وادي المخازن 986هـ/1578م	51
رابعا / التفاهم السري بين الملك فليب الثاني و سيبستيان	53
خامسا / إستنجاد محمد المتوكل بالملك سيبستيان	53
المبحث الثاني : المجريات	55
أولا / سير الجيش البرتغالي نحو المغرب	55
ثانيا / الإستعدادات البرتغالية ثالثا	55
ثالثا / الإستعدادات المغربية	57
رابعا : المجلس الحربي للدون سيبستيان	59
خامسا : الوضعية القتالية للجيشين	59
سادسا / إندلا ع المعركة	61
المبحث الثالث : النتائج	64
أولا / على المغرب	64
ثانيا / بالنسبة للبرتغال	67
ثالثا / أثر المعركة على العلاقات الدولية و توازن القوى العالمية	69
نتائج الفصل	71
الفصل الثالث: أوجه التشابه و الإختلاف بين المعركتين	
تمهيد	74
المبحث الأول : أوجه التشابه	75
أولا /من ناحية الزمان (القرن)	75

ثانيا / الإستعدادات الحربية	75
ثالثا / الصراع الديني	78
رابعا / الأهداف التوسعية	79
خامسا / مشاركة أتراك الجزائر	81
المبحث الثاني : أوجه الإختلاف	82
أولا / المكان	82
ثانيا / طبيعة المعركة	82
ثالثا / الخسائر البشرية	83
رابعا / المستقبل السياسي	83
خامسا / الظروف المناخية للمعركة	84
المبحث الثالث : النتائج والآثار	86
أولا / على القوى الإسلامية	86
ثانيا / على القوى المسيحية	87
ثالثا / على العلاقات و موازين القوى العالمية	89
نتائج الفصل	94
خاتمة	97
قائمة المصادر والمراجع	100
الملاحق	109
فهرس الموضوعات	113
ملخص الدراسة	116

ملخص الدراسة :

شهدت الفترة الحديثة وبالتحديد النصف الثاني من القرن 16م معارك تاريخية كبرى بين القوة الإسلامية و القوى المسيحية المتحالفة ، تمثلت في معركة ليبانت 1571 – وداي المخازن 1578 م باعتبارها من أكبر المعارك التاريخية التي شهدتها الساحة الدولية في إطار الصراعات الدينية المتجددة بين الهلال والصليب .

فرغم اختلاف أسبابها و مجرياتها ونتائجها ، إلا أن انعكاساتها أثرت في مسار وطبيعة العلاقات وتغيير موازين القوى العالمية في حوض البحر الأبيض المتوسط والساحل المغاربي.

Résumé:

The modern period, specifically the second half of the 16th century AD, witnessed major historical battles between the Islamic and Christian forces, represented in the Battle of Lepant 1571 - Wadi al-Makhazen 1578 AD, as it is considered one of the biggest historical battles that witnessed in the international agenda within the framework of renewed religious conflicts between the Crescent and the Cross.

In spite of its different causes, processes and results, its repercussions affected the course and nature of relations and changed the global balance of power in the Mediterranean basin and the Maghreb coast .

تم بحمد الله